مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

الحيل الدفاعية للذات في مواجهة الآخر المرفوض في المجموعة الشعرية الكاملة لإبراهيم طوقان(*)

DOI: https://doi.org/10.55074/hesj.vi33.827

د/ نورة محمد البشري
أستاذ الأدب والنقد المشارك
في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
norahalbishri1@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 12/5/2023 تاريخ قبوله للنشر 5/6/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الحيل الدفاعية للذات في مواجهة الآخر المرفوض في المجموعة الشعرية الكاملة لإبراهيم طوقان

د/ نورة محمد البشري
أستاذ الأدب والنقد المشارك
في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

الملخص

برز مفهوم الذات في الدراسات النفسية بوصفه نقطة ارتكاز للشخصية الإنسانية، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتوظيف الفعال للسلوك، وبعمليات التوافق الشخصي والاجتماعي لدى الفرد، وحتى تتمكن الذات من مواجهة الضغوطات والمواقف الإنسانية التي تأزمها وتقلقها، فهي تتخذ حيلًا وآلياتٍ دفاعية وعمليات سيكولوجية ذات طابع وقائي تسمى (الميكانيزمات الدفاعية)، وهي حيل غير مباشرة تحاول إحداث التوافق النفسي، وترتبط هذه الآليات الدفاعية بحضور الآخر، التي تتسم العلاقة معه بالتوتر والتصادم والرفض، والآخر الذي نعنيه هو طرف غير الذات، مغاير لها في الماهية، وليس شرطًا أن يكون الآخر فردًا، فقد يكون جماعة، وقد استخدم إبراهيم طوقان بعض هذه الحيل في مواجهة الآخر المرفوض الذي تمثّل في الانتداب البريطاني، والعدو الصهيوني، وأيضًا من باع أرض فلسطين وتاجر بها من بني جلدته، وذلك لحماية الذات وخفض المعايشة الواعية للقلق، وهذه الحيل هي: الرفض، والسخرية، ثم الانتماء، وطلب المساندة الانفعالية، وكان لهذه الحيل دورها في اتقاء الواقع من خلال تفعيل دور الحيلة في خداع الذات، والارتقاء بالمستوى النفسي إلى درجة الاتزان.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم طوقان – الذات – الحيل الدفاعية – الآخر المرفوض.

Self-defense tricks in dealing with the rejected counterpart in the complete poetry collection of Ibrahim Touqan

Dr. Norah Mohammed Al Bashri
Assistant Professor of Princess Norah
Faculty of Arts (Arabic Language Department)

Abstract:

The self-concept has emerged in psychological studies as a focal point of the human personality, closely related to the effective employment of behavior and the processes of personal and social adjustment of the individual. In order for the self to be able to face the pressures and human situations concern it, it adopts tricks, defensive mechanisms, and psychological processes of a protective nature called (defensive mechanisms), which are indirect tricks that try to bring about psychological compatibility. These defensive mechanisms are linked to the presence of the other, with whom the relationship is characterized by tension, confrontation, and rejection. The other we mean is a party other than the self, differs in essence. It is not a requirement that the other should be an individual, for it may be a group. Ibrahim Touqan used some of these tricks in confronting the rejected counterpart, who was represented by the British Mandate, the Zionist enemy, and also those who sold the land of Palestine and traded in it from among his own people, in order to protect oneself and reduce conscious coexistence of anxiety. These tricks are: rejection, sarcasm, then affiliation, and the request for emotional support. These tricks played a role in preventing reality by activating the role of trick in self-deception and raising the psychological level to the degree of balance.

Keywords: Ibrahim Touqan - self - defensive tricks - the rejected counterpart.

المقدمة:

يحمل الإبداع الشعري كثيرًا من الدلالات النفسية التي تعكس الداخل الإنساني في أفراحه وتوتره الشعوري واضطرابه النفسي وصراعاته، وهذا الداخل النفسي هو النواة الحقيقة للخبرات التي تكون شخصية الإنسان وتشكل تصوراته وأفكاره، ولذلك فالوقوف عند هذه الخبرات يمثل بؤرةً مهمةً لاستنطاق الحالة النفسية عند المبدع، "فالقارئ النفسي لا يكتفي باستنطاق الدلالات الكامنة في النص، بل يستنطق تأويلاتها، ويتتبع دوافعها، ويعيدها إلى مرجعياتها اللاشعورية في الحياة الباطنية، وقضايا الغرائز واللاوعي الجمعي وغير ذلك، ثم يحاول الكشف عن الصلات التي تربط بين تلك الدلالات والعناصر الأخرى المكونة للسياق" (عيسى، 2003، 35).

إن دراسة الأديب من خلال نصه تدل على نفسيته، وتكشف عن تجربته؛ لأن الإبداع الأدبي غالبًا ما يكون انعكاسًا لأسبابٍ لم يكن المؤلف واعيًا بها حين أبدع عمله الفني، ويحتوي هذا الإبداع على مضمون ظاهر، ومضمون خافٍ، وهذا يعني أن هناك علاقةً وثيقةً بين ما يحيط بالإنسان ويشغل فكره، وبين ما ينتجه عقله أو يستقر في نفسيته، مما يحقق التوائم بين الكتابة واللاوعي، وبين الداخل والخارج.

ومن هذا التصور برز مفهوم الذات في الدراسات النفسية بوصفه نقطة ارتكاز للشخصية الإنسانية، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتوظيف الفعال للسلوك، وبعمليات التوافق الشخصي والاجتماعي لدى الفرد؛ فالذات هي "كينونة الفرد أو الشخص، وتنمو الذات وتنفصل تدريجيًا عن المجال الإدراكي، وتتكون بنية الذات نتيجةً للتفاعل مع البيئة، وتشمل الذات المدركة، والذات الاجتماعية، والذات المثالية، وقد تمتص قيم الآخرين، وتسعى إلى التوافق والاتزان والثبات، وتنمو نتيجةً للنضج والتعلم، وتصبح المركز الذي تنتظم حوله كل الخبرات" (زهران، 2005، 68-69).

وقد تطورت دراسة الذات في ظل مدرسة التحليل النفسي ورائدها سيغموند فرويد (1870-1937م)، ومع أنه لم يشر إلى مصطلح الذات، ولكن يبدو أن كلًا من (الهو) الذي يمثل الدوافع الغريزية والمكبوتة، ولا يراعي المنطق أو الأخلاق أو الواقع، و(الأنا) الذي يتحكم في دوافع الأنا بما يتفق والواقع الاجتماعي والقيم الأخلاقية في المجتمع، و(الأنا الأعلى) الذي هو الضمير والمعيار الذي نسير سلوكنا وفقا له، فهو الجانب الأخلاقي في الشخصية (فرويد، 1982، 16-17) هي مشابهات للذات، إذ تقابل (الهو) الذات الدنيا وتكون للإشباع الغريزي، وتقابل (الأنا) الذات الواقعية، وتقابل (الأنا العليا) الذات المثالية (هول، 1963، 50، 29، 32).

وحتى تتمكن الذات من مواجهة الضغوطات والمواقف الإنسانية التي تأزمها وتقلقها، فهي قد تتخذ حيلًا وآلياتٍ دفاعية وعمليات سيكولوجية ذات طابع وقائي تسمى (الميكانيزمات الدفاعية)، وهي حيل غير مباشرة تحاول إحداث التوافق النفسي، لتجنُّب التوتر النفسي والقلق الذي ينشأ عن مواجهة الإحباط والصراع (زهران، 2005، 38)، "وهذه الحيل تأتيها الأنا تلقائيًا دون أن تدري كلما استشعرت العجز، ويقال لذلك أنها لا شعورية" (عباس، 1996، 38)، وهي حيل مفيدة للتوازن النفسي والصحة العقلية للإنسان (زهران، 2005، 38)، وترتبط هذه الآليات بـ"إدارة الفرد لصراعاته الداخلية والخارجية" (جودة، 2009، 407)، ومن الملاحظ أن هذه الحيل عامة "ومن الممكن أن توجد لدى الأسوياء" (عبيد، 2008، 217).

ونشأة الميكانيزمات مرتبطة بفرويد فهو الرائد في هذا الميدان، وقد استعمله في واحدة من محاضراته الخاصة التي تحدث فيها عن الآلية النفسية الدفاعية التي ألقاها عام 1893م، واستخلص في الوقت نفسه فكرة ارتباط الآلية بالدفاع (الحفني، 2005، 121/1)، وتعددت الميكانيزمات التي استعملها فرويد فذكر مجموعة منها في كتابه (الأنا وميكانزمات الدفاع) الذي أصدره عام 1946م، منها "النكوص- الكبت- التكوين المضاد- العمل- الإلغاء- الإسقاط" (فرويد، 1972، 48) وغيرها.

وترتبط الآليات الدفاعية بحضور الآخر المرفوض التي تتسم العلاقة معه بالتوتر والتصادم، الاختلاف دون التشابه، والإقصاء بدل القبول، والآخر الذي نعنيه هو طرف غير الذات، وهو "المماثل والمباين لنا بسماته الإنسانية والثقافية المشتركة، والمباين بخصائصه الفردية أو فروقه العرقية" (غطاس، 2015، 255)، وليس شرطًا أن يكون الآخر فردًا، فقد يكون جماعةً (البطاط، 2011، 14).

والوعي بالآخر قديم قدم التجربة الإنسانية، بوصفه نقطةَ ارتكاز وتوهج، ومجالًا من أهم مجالات دراسة النص، ويشكل تيمةً محوريّةً في بناء الخطاب الشعري دلاليًا وتداوليًا، لكن الآخر لا يحضر إلا بوجود الذات المنتجة لحضوره، فهو جزء من حديث الذات ومحرض على تمظهرها وتشكلها الداخلي، يشكل بالنسبة للذات الامتداد، وهذا يعني أن الأنا لا تبرز في النص الشعري كيانًا منعزلًا عن الآخر؛ وإنما هي في علاقة جدلية معه، بل إن الآخر "يلعب على الدوام في حياة الفرد النفسية دور أنموذج أو موضوع أو شريك أو خصم" (فرويد، 2006، 21)، ومن هنا فإن "الإنسان لا يدرك ذاته إلا إذا تصور وجود غيره، فإدراك وجود الغير ضروري إذن لإدراك وجود الذات" (صليبيا، 1982، 674/2).

ويعد موضوع الآخر المرفوض أحد الموضوعات المهمة في الشعر الفلسطيني بشكل عام، وفي شعر إبراهيم طوقان بشكل خاص؛ حيث ارتبط هذا الجانب بالأرض والهوية والانتماء، وكان جزءًا من مقاومة الآخر المعادي، على تنوع وجوده وتأثيره، فحضور الآخر هنا ليس حضورًا فنيًا؛ وإنما إشكالية حضارية ووجود إنساني مع الآخر، سواء المتدثر بطابع العداء والدماء فهو مغتصب للأرض طارد للشعب، ناهب للخيرات، أو المتسم بطابع الخيانة والتقاعس عن النصرة، فهو لا يقل عن الأول بشاعة وظلمًا، لذلك صرف إبراهيم طوقان جزءًا كبيرًا من شعره للحديث عن الآخر المحتل- الانتداب البريطاني ثم العدو الصهيوني- فتصدى له وقاومه، كما كشف قناع المتآمرين على قضيته، وما ذاك إلا لأنه عانى وتألم لتألم وطنه، فقد فتح عينيه على ظلامات مرَّة، أصابت بلده في كل مكان، فأحزنته عذابات قومه، كما ضامه الآخر الذي باع فلسطين وتاجر بها وتقاعس عن نصرتها، وكل هذا أهلَّه لأن يكون "من أكثر الشعراء تمثيلًا لأحداث الوطن، صادقًا في تفاعله مع ما يجري... وطنيًّا يتفاعل بصدق وعفوية مع هول تلك الأحداث التي طوقت الوطن" (الطريفي، 2008، 37).

واحتاج طوقان إلى بعض الحيل والأساليب الدفاعية لتقبل واقعه، لذلك كانت هذه الدراسة التي تتجاوز الدلالات اللغوية والمعجمية للآخر لتبحث في وعي المضامين النفسية التي تشكل خطاب الآخر المرفوض، وبخاصة في العصر الحديث التي كثرت فيه الآراء والمدارس التحليلية النقدية النفسية.

مشكلة البحث: تتمظهر إشكالية البحث في التساؤلات الآتية:

1-كيف حضر الآخر المرفوض في شعر إبراهيم طوقان، وكيف كان تأثيره؟

2-هل اتسمت العلاقة بالآخر المرفوض بالعمق الوجداني والفكري الذي يعكس قوة تأثيره الوجودي على نفسية الشاعر.

3-ما الآليات التي وظفها الشاعر في مواجهة الآخر المرفوض بوصفها حيلًا دفاعيةً تعينه على التنفيس الوجداني والنفسي.

هدف البحث: رغم كثرة الدراسات حول حياة إبراهيم طوقان وشعره لم نقف- على حد علمنا- على دراسة عن آليات الدفاع النفسي في مواجهة الآخر المرفوض عند الشاعر، من حيث تشكلات الآخر، وفعل الذات في مقاومته ومواجهته، فالذات لا تتحقق فاعليتها إلا بحضور الآخر فهو شريك في آلية الإنتاج وصناعة الدلالة.

ويهدف البحث إلى الآتي:

1- إبراز ما للأدب من علاقة وثيقة مع علم النفس.

2- تتبع تشكلات الآخر في النص، على نحو يكشف عن الآليات والمحمولات الفكرية التي جعلت من الآخر قيمة مرفوضة.

3- استجلاء آليات الدفاع النفسي ضد الآخر المرفوض، في ظل تشكل الآخر وفق منظومة أيدلوجية مختلفة شكلت بؤرة الرفض ومرتكز الصراع.

أهمية البحث: وتظهر أهمية البحث من خلال ما يأتي:

1-تعزيز التكامل بين الميادين المعرفية كعلم النفس والنقد الأدبي وعلم اللغة لتفسير العمل الأدبي.

2-النظر للآخر هو إبراز للذات وفهم لوعيها وقناعاتها، باعتبار الآخر مقابلًا حيويًّا يكشف عن مناطق عند الذات ما كانت لتظهر لولا تعدد صورة الآخر وتنوعها.

3-تنهض علاقة الذات بالآخر المرفوض عند إبراهيم طوقان وفق مقومات وجودية ثقافية فكرية، وصراعات نفسية داخلية، تكتسب أهميتها من أهمية الصراع في فلسطين، ومحاولة الآخر استلاب الهوية وتدمير الوجود والكيان.

4- شكلت الحيل الدفاعية عند إبراهيم طوقان وسيلةً مهمةً في الكشف عن تجربة الشاعر، وطريقته في مقاومة الآخر المرفوض.

حدود البحث: وتضم مادة الدراسة الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر إبراهيم طوقان، وتقع في 302 صفحة.

الدراسات السابقة: ومن حيث الدراسات السابقة فلم أجد دراسة تتناول علاقة إبراهيم طوقان بالآخر المرفوض نصًا، ولا تتناول الميكانيزمات الدفاعية التي وظفها طوقان، لكن ظهرت دراسات تدور حول شعر إبراهيم طوقان، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1- إبراهيم طوقان حياته ودراسة فنية في شعره، محمد حسن عبد الله، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري (د.ط، 2002م).

2- ملامح التجديد في شعر إبراهيم طوقان، زياد أبو لبن، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، ع55-56، 2003م.

3- الشعر الوطني والغزلي في شعر إبراهيم طوقان (دراسة صوتية دلالية)، ميسر صبري أبو جبل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2017م.

4- تجليات الرمز في شعر إبراهيم طوقان، شرين عبده محمد خضر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ع27، ديسمبر 2018م.

5- الحس بالمستقبل في الشعر الفلسطيني المعاصر/ إبراهيم طوقان ومحمود درويش نموذجًا، فاطمة محمود سليمان صهيوني، رسالة ماجستير، جامعة القدس المفتوحة، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، اللغة العربية وآدابها، 2019م.

6- نماذج من شعر إبراهيم طوقان عبر المنهج التاريخي، علي شومان أبو دية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية- جامعة بابل، ع42، 2019م.

منهجية البحث: يعتمد البحث على مقاربة **المنهج النفسي** الذي يقوم بدراسة التداعيات النفسية في الأعمال الأدبية، وربط الإبداع بالحالة النفسية للأديب فهو منهج إسقاطي، بمعنى أن المنهج النفسي يحاول الانتفاع من نظرية التحليل النفسي، وحقائق علم النفس ومفاهيمه في تفسير الظواهر الأدبية (وغليسي، 2007، 22-23)، وإذا علمنا أن علم النفس يهدف إلى فهم "المبادئ والقوانين العامة التي تحكم سلوك الإنسان" (الداهري وآخرون، 1999، 25) فهمنا مدى أهمية إسقاط قوانين علم النفس على السلوك الإنساني والإبداع البشري لاستقراء الداخل النفسي وفهم مكوناته، وإضافة إلى مقاربة المنهج النفسي سيعمل البحث على مقاربة بعض المناهج النصية **كالمنهج الإنشائي** عند الحاجة إلى تفسير البنية الداخلية اللغوية للنص وعلاقتها بالجانب النفسي عند المبدع.

ويتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة وفيها: نبذة عن الموضوع، وإشكالية البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، ثم منهجه.

المبحث الأول: تشكلات الآخر المرفوض:

1- الانتداب البريطاني.

2- العدو الصهيوني.

المبحث الثاني: حيل الدفاع النفسي في مواجهة الآخر:

1- الرفض.

2- السخرية والفكاهة.

3- الانتماء.

4- طلب المساندة الانفعالية.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

المحور الأول: تشكلات الآخر المرفوض:

1- الانتداب البريطاني: تثبت الانتداب البريطاني على البلاد عام 1922م، وقد كان اهتمام حكومة الانتداب البريطانية الأساسي خدمة المصالح اليهودية، وتنفيذ الوعد الذي أصدره (آرثر جيمس بلفور) في الثاني من شهر نوفمبر عام 1917م بإقامة وطن قومي لليهود في أرض فلسطين (إبراهيم، وعيسى، 1991، 7-9؛ الدجاني، 1999، 86)، وقد عايش الشاعر الانتداب البريطاني، وتدفق اليهود إلى أرض فلسطين، وعاصر

بداية الاحتلال والمؤامرات التي كان تحاك ضد الفلسطينيين، وهذه المزامنة للقضية الفلسطينية مكنته من تكوين ثقافة تاريخية واسعة عن الآخر المعادي من انتداب واحتلال، ورسم صورًا متنوعةً عنه، إذ أدرك وبقوة أنه يكتب عن وطن في طريقه إلى الضياع، وعن عدو لا يعرف الرحمة فكان الآخر بمعنى الضد الذي يجمد حضوره حرية الشاعر، ويسلبه عالمه، فأحس بنبض المأساة قبل وقوعها، وانطلق من تلك الرؤية التنبؤية محذرًا من سوء المصير، فكأنما كان المؤرخ للقضية الفلسطينية يشارك في كل مناسباتها وأحداثها.

لقد اصطدم إبراهيم بصخرة الواقع المملوء بالشر والدمار، حيث أخذ الانتداب ووفق سياسة ممنهجة باستقدام قطعان اليهود، وتضييق الخناق على المزارعين في حقولهم، كما قام بقتل الثوار الفلسطينيين فكون الشاعر نتيجة لكل ذلك علاقة تضاد ورفض للآخر شكلت في حقيقتها شكلًا صراعيًا حادًّا "ومن هنا تكون الأنا رافضةً لكل تصرفات الآخر وهو ما يجعلها تلغي وجوده ولا تقيم له أدنى اعتبار" (غباش، 2018، 11)، وقد قرر إبراهيم طوقان أن عدوه ليس واحدًا وهم اليهود بل قبلهم الانتداب البريطاني، الذي أقر وعد بلفور وجعله حقيقة ماثلة للعيان: يقول إبراهيم طوقان (طوقان، 2012، 23):

يا سَراةَ البلادِ يكفي البلادا	ما أذاب القلوبَ والأكبادا
انتدابٌ أحدُّ من شفرة السيَّفِ	وأوْرَى من المنايا زِنادا
وعدُ بَلفورَ دكَّها فلماذا	تجعلونَ الأنقاضَ منها رمادا

مهدت حكومة الانتداب البريطاني لإنشاء الوطن القومي اليهودي، وأخذت تسن القوانين بهدف تمكين الصهيونية من انتزاع الأرض العربية، لقد جلبت اليهود من أقصى بقاع الأرض إلى فلسطين، وقدمت لهم دعمًا ماديًّا ومعنويًّا وعسكريًّا بهدف توطينهم في فلسطين وجعلها أرضًا يهودية، وكانت من نتيجة هذا التعاون أن دُكت فلسطين، وأُبيد أهلها إبادة جماعية، فكان هذا الانتداب أحدُّ من شفرة السيف، لأنه يرسخ لوجود وكيان لا علاقة له بالأرض والمكان، والشاعر يستخدم الصورة الحسية للسيف بدلالته الطبيعية على القتل والدماء للإشارة إلى الألم والوجع الذي أحدثه هذا الاحتلال للإنسان الفلسطيني، وللخراب والدمار الذي لحق الأرض والحياة بمفهومها العام والوجودي، وهو يعبر عن ضحايا هذا الاحتلال بصيغة الجمع (القلوب والأكبادا)؛ لأن مصاب الإنسان الفلسطيني واحد في كل فلسطين، فالكلُّ طاله القتل والتشتيت والنفي والسلب، والاختيارات اللغوية في المقطع السابق تجرد العدو من أي مظهر غير مظهر الاعتداء والظلم والطغيان (أذاب القلوب والأكبادا- أحد من شفرة السيف- أورى من المنايا زنادا-دكها- الأنقاضا -رمادا)، إن الشاعر في هذه المرحلة يعاني من استلاب الوطن، ويعيش مرحلة من الضياع النفسي كردة فعل لضياعه الخارجي؛ إذ لا يمكن أن يشعر المرء بالاستقرار والأمن وحياته معرضة للخطر.

ووفقًا لاستقراء النصوص موضع الدراسة فإن التشبيه هو الأداة التصويرية التي يستند عليها الشاعر أكثر من غيرها كما هو واضح من النموذج السابق (انتداب أحد من شفرة السيف)، فالتشبيه يعين الشاعر على تحقيق الإيحاء والابتعاد عن المباشرة وتكثيف الدلالة، وتوسيع الإطار المعرفي، كما تعينه على تجسيد الحالات النفسية التي يمر بها، وهو يتناسب في الوقت ذاته مع طبيعة التوجه الكلاسيكي الذي ينتظم التجربة الإبداعية لطوقان فيما

يتعلق بمقاومة الآخر المرفوض، فلا تتجاوز صوره التعبير المألوف، ولا يمكن وصفها بصفة "اللاعقلانية واللامألوف واللاعادي" (ربابعة، 2003، 43).

ويمضي الشاعر مقررًا فداحة الخطب الذي اشترك الانتداب واليهود في صناعته فيقول (طوقان، 2012، 229):

لنا خصمانِ: ذو حَوْلٍ وطَوْلٍ ... وآخرُ ذو احتيالٍ واقتناصِ
تواصَوْا بينهم فأتى وبالًا ... وإذلالًا لنا ذاكَ التواصي
مناهجُ للإبادة واضحاتٌ ... وبالحسنى تُنفَّذُ والرصاصِ

يتضح أن العلاقة مع الآخر هي علاقة هيمنة وإبادة؛ فالآخر يحاول أن يستلب من الذات وجودها وكيانها ووطنها، لأن "الروح العدوانية هي النمط المثالي الذي من الممكن أن نصف به بشكل عام الإطار السلوكي للشخصية اليهودية الإسرائيلية تجاه العرب عامة والفلسطينيين خاصة"، وهذه الروح العدوانية ضاربة "في التكوين السيكولوجي التاريخي والعقائدي للشخصية اليهودية الإسرائيلية" (الشامي، 1986، 144)، وهو يصور مكر الانتداب البريطاني حين جاء فلسطين بدعوى فتح الطريق للتمدن الغربي (طوقان، 2012، 21):

يا موطنًا قرع العداةُ صفاتهُ ... أشجيتَني، ومن الرقاد منعتني
يا موطنًا طعن العداةُ فؤادَهُ ... قد كنتَ من سِكّينهم في مأمنِ
لهفي عليكَ وما التهافي بعدما ... نزلوا حِماكَ على سبيلٍ هيّنِ
وأتوكَ يُبدون الودادَ، وكلُّهم ... يزهو بثوبٍ بالخداعِ مُبطَّنِ
قد كنتُ أحسب في التمدّن نعمةً ... حتى رأيتُ شراسةَ المتمدّنِ
الذنبُ ذنبي يومَ هِمتُ بحبّهم ... يا موطني هذا فؤادي فاطْعنِ
واغمر جراحَكَ في دمي فلعلّهُ ... يُجدي فتبرأَ بعده يا موطني

عاش إبراهيم زمن الانتداب البريطاني الذي كان وبالًا على فلسطين، لذا فهو يخاطب وطنه النقي (يا موطنًا)، الذي عاش في وداعة وسكينة غافلًا عن المؤامرات التي تحاك ضده حتى وقع في مصيدة الخداع والتظاهر التي نصبها المحتلون (قد كنت من سكينهم في مأمن)، ويقصد بالنداء رفع الصوت ومده لغرض تنبيه المخاطب، والأصل فيه أن يتوجه به إلى منادى عاقل، فإن خرج النداء إلى غير العاقل كان منافرة إسنادية، وظيفتها داخل السياق الشعري خلق علاقات جديدة وغير اعتيادية، إن الشاعر يمر بحالة استلاب، حيث سلب منه العدو "المكان والزمان والمشاعر" (العامري، 2008، 100)، لذلك فهو يقدم "رثاءً للزمان والمكان" (قطوس، 1996، 53)، (والهفي) و"التلهف على الشيء: التحسر عليه يفوتك، وقد كنت أشرفت عليه" (الفراهيدي، 2003، 105/4)، وقال ابن فارس: "تلهف على الشيء، ولهف، إذا حزن وتحسر، والملهوف المظلوم يستغيث" (ابن فارس، د.ت، 217/5)، والتلهف أسلوب شاع عند الشاعر حتى أصبح من سمات لغته، وهو تكرار لاشعوري، ناتج عن حالة نفسية شديدة التكثيف، يرزح الشاعر تحتها، ولا يملك لنفسه تحولًا عنها، أي أن هذه الكلمة تصبح مفتاحًا للفكرة المتسلطة على الشاعر، وعلى أساسها تنهض كثير من البنى والصور والأفكار، التي يستدرُّ بها تعاطف

القارئ على الوطن الذي كان عرضةً للانتهاك والقهر، مما صعَّد وتيرة الحزن، كما يقدم صورة قبيحة للمستلب، صورة الغادر المخادع، وهي صورة رسخت في الذهنية العربية عن اليهود ومن يحالفهم، مما جعل هذه الصورة متأصلة عنهم، وهو يلوم نفسه أن صدقهم، لذلك فهو يلجأ إلى جلد الذات (الذنب ذنبي)، وجلد الذات في علم النفس "مكون انفعالي ينطوي على شعور بالألم والضعف والمهانة، وشعور بالقلق والانزعاج وشعور بالخوف والحزن، حيث يتوقف الفرد عند حد معاناة هذه الانفعالات غير السارة دون أن يكون قادرًا على اتخاذ أيةٍ خطوة إيجابية" (جاب الله، 2006، 30).

والشاعر يصبغ على بلفور صورة الذئب حين أسلم فلسطين لليهود بمكر ودهاءٍ، وهو يسلبه الصفة الإنسانية ليكسبه الصفة الحيوانية (طوقان، 2012، 102):

بلفورُ يومُكَ في السما	ءِ، عليكَ صاعقةُ السماءِ
ما أنتَ إلا الذئبُ قد	صُوِّرتَ من طين الشقاءِ
والذئبُ وحشٌ لم يزلْ	يَضْرى برائحة الدماءِ
اخْسأْ بوعدكَ، إنَّ وَعْـ	ـدَكَ دونه ربُّ القضاءِ
وإلى جهنَّمَ أنتما	حطبٌ لها طولُ البقاءِ

يأتي النداء لـ "تنبيه المنادى، وحمله على الالتفات" (المخزومي، 1986، 301)، وهذا يعني تواجده، كما أن حذف أداة النداء يوحي بأن المنادى قريب من المنادي، إذ لا يتطلب لندائه "أن تمد الصوت، وترفعه لينتبه، أو يلتفت" (المخزومي، 301)، ومناداة بلفور على هذا النحو يوحي بقربه من المنادي على المستوى الحسي (المكاني) لا النفسي، فهو من احتل فلسطين، وهو من مثّل صفة السيادة عليها، ومنحها لليهود دون وجه حق، فهو ليس ببعيد عنها، لذلك يدعو عليه الشاعر وقد حمل هذا الدعاء كل مشاعر الكره والسخط، والدعاء هنا هو نوع من التنفيس النفسي وإفراغ الغضب، وقد جاء الدعاء بالجملة الأسمية (عليك صاعقة الغضب– وإلى جهنم أنتما حطب لها) لتخصيص بلفور بهذه الدعوات، كما جاء فعل الأمر (اخسأ بوعدك) ليحمل دلالات النقمة والحنق، ثم ساق الشاعر صورة شعرية جزئية مفردة (ما أنت إلا الذئب)، واستدعاء صورة الذئب جاءت في النص السابق وفق دلالتين: دلالة الشقاء والبؤس، وهي دلالة معروفة منذ القدم، حيث "يبدو اقتران دلالة الصعلوك بالفقير والذئب" (الصائغ، 1999، 379/1)، ومما جاء في النهاية في غريب الأثر "يقال لصعاليك العرب ولصوصهم ذؤبان لأنهم كالذئاب" (ابن الأثير، د.ت، 171/2)، وهذا هو الإسقاط الأول لرمزية الذئب، فبلفور صعلوك شقي (صورت من طين الشقاء)، أما الدلالة الثانية فجاءت من واقع حياة الذئب الوحشية، فهو "علامة للشر، وآية للقلق والاضطراب النفسي" (بدوي، 2022، 202)، وهذا هو الإسقاط الثاني لصورة الذئب على بلفور.

لقد هز وعد بلفور كيان الشاعر وأقلقه؛ إذ فتح باب الهجرة على مصراعيه، يقول (طوقان، 2012، 237):

يُهاجر ألفٌ... ثم ألفٌ مُهرَّبًا..	ويدخل ألفٌ سائحًا، غيرَ آيبِ
وألفُ (جوازٍ)، ثم ألفُ وسيلةٍ	لتسهيل ما يلقَوْنه من مصاعب

وفي البحـــر آلافٌ... كأنَّ عبـابَهُ وأمـواجَـه مشـحـونـةٌ في المـراكـب

الفعل المضـــارع (يهاجر- يدخل) "يدل على العمل الذي لا يحدث في زمن خاص، ولكنه يحدث في كل وقت، ولا يلاحظ فيه وقت معين، ولكنه يدل على الدوام" (المخزومي، 1986، 124)، أي دوام الهجرة واستمراها، إنها المرحلة التي هيأت لضياع فلسطين، فألف مهاجر مهربًا، وألف سائح ظل ولم يغادر، وألف جواز دخلها، ثم ألف مهاجر بلغها بوســائل غير مشــروعة، كما امتلأ البحر بالآلاف من شــذاذ الأفاق، لقد مكن الانتداب البريطاني اليهود ورسخ وجودهم في فلسطين، إذ لا يمكن أن يصبح اليهود شعبا مثل كل الشعوب "إلا عن طريق تهجير هم إلى فلســطين... ليعيشــوا في وطن يهودي، تحكمه دولة صــهيونية تندمج في المجتمع الدولي" (المسيري، 1982، 155) وهو ما أسلم الفلسطينيين إلى التعاسة والفقر وفساد البلاد، يقول (طوقان، 2012، 221):

منذ احتللتم وشــؤمُ العيشِ يرهقنا فَقْرًا وجـَوْرًا وإتعاسًا وإفســادا

بفضلكم قد طغى طوفانُ "هجرتـهم" وكـان وعـدًا تـلـقّيـنـاه إيـعـادا

واليوم من شؤمكم، نُبلى بكـارثـةٍ هذا هو الطِّينُ والماءُ الـذي زادا

يعيش الشــاعر مرحلة تســليم فلســطين لليهود بمباركة من الإنجليز، حين بدأت موجات عاتية من الهجرة اليهودية، "وكان واضــحًا أن الهدف من تهجير اليهود إلى فلســطين بأعداد كبيرة خلقُ تفوق عددي على عدد الفلســطينيين" (يعقوب، 1995، 20)، تحقيقًا للوعد المشــؤم (وكان وعدًا تلقيناه إيعادا)، ويظهر في هذ المقطع حجم المعاناة التي يعيشها شعب بأكمله (نُبلى بكارثة)، وصيغة الجمع الدالة على (النحن) تعني حالة من الاندماج الكلي والشــعور الجماعي بوطأة الكارثة، والفعل المبني للمجهول يعطي دلالة قلة الحيلة، إنه "فعل الفاعل الذي لا اختيار له" (المخزومي، 1986، 47)، فليس هناك مأزق وجود يعدل في إشكاليته شعور الإنسان أنه مسلوب الإرادة، خارج "الدور والمشــاركة والإرادة والقرار، وبالتالي العطاء والنماء، إنه الضــياع الوجودي عينه" (حجازي، 2005، 150).

ومما يتصل بهذا السياق وهذه المرحلة التي أخذ اليهود يتدفقون فيها إلى أرض فلسطين لشراء الأراضي أن شنَّ إبراهيم طوقان هجومه على أولئك الذي فرطوا في أراضيهم فباعوها لليهود، ففي عام 1918م مثلًا لم يكن "اليهود يملكون إلا اثنين في المائة (1625000أكرا)[1] من مجموع مســاحة اليابســة البالغة (6580755أكرا)... وقد ابتاع اليهود خلال الســنوات الثلاثين التالية أراض أخرى أوصــلت مجموع ما كانوا يملكونه عند انتهاء الانتداب في أيار عام 1948م إلى (372925 أكرا) أي (5.67%) من مجموع أراضي فلسطين"، وفي الفترة من (1920-1936م) اســتولى اليهود على مليون ونصــف دونم من أصــل 6.5 مليون دونم كانت صــالحة للزراعة في أرض

(1) الأكر: وحدة تستخدم لقياس مساحة الأراضي الزراعية، وهي وحدة قياس إنكليزية، يقابلها الفدان، وتساوي مساحته (4840) ياردة مربعة، انظر: الحكيم، وحدات المساحة عند العرب والمسلمين أصولها وقياساتها: 130-131.

فلسطين، وقدرت حكومة الانتداب أنه كان لدى اليهود عام 1946م حوالي 15% من أراضي فلسطين الصالحة للزراعة" (هداوي، 1982، 79-80)، لقد أدى هذا التهاون في بيع الأراضي للجاليات اليهودية إلى قيام دولة إسرائيل بما يعرف بالنكبة الكبرى عام 1948م، وبذلك حقق سماسرة البلاد مع الانتداب البريطاني حلم اليهود في إقامة وطن لهم في فلسطين يقول (طوقان، 2012، 217):

أمَّا سماسرةُ البلادِ فعصبةٌ عارٌ على أهل البلادِ بقاؤها
إبليسُ أعلن صاغرًا إفلاسَهُ لما تحقَّق عنده إغراؤها
يتنعّمون مُكرَّمين، كأنّما لنعيمهم عمّ البلادَ شقاؤها
هم أهلُ نجدتها، وإنْ أنكرتَهم وهُمو، وأنفُكَ راغمٌ، زعماؤها!!
وحماتُها، وبهم يتمّ خرابُها وعلى يديهمْ بَيعُها وشراؤها
ومن العجائب إن كشفتَ قُدورَهم أنَّ الجرائدَ بعضَهنَّ غطاؤها
كيف الخلاصُ إذا النفوسُ تزاحمتْ أطماعُها، وتدافعتْ أهواؤها؟

تنبه طوقان إلى أن سماسرة بيع الأراضي هم عامل بارز قي ضياع البلاد فشن عليهم حملات كثيرة، فهو يرى أن تفريط الفلسطينيين في أراضيهم أشد وأنكأ من جريمة الاحتلال والاغتصاب التي قام بها المحتل، لقد كان السماسرة "هما ثقيلا على إبراهيم طوقان فقام ينشد قصائد لاهبة تمور بالغضب الشديد عليهم ويعريهم ويذكرهم بمطامعهم" (الطريفي، 2008، 329) إنهم لا ينتمون لوطنه، لذلك فهو يميل إلى نبذ هذه العناصر التي تشذ عن مجتمعه (القوصي، 1952، 95)، لقد أثرت هذه الفئة في زيادة مشاعر الإحباط عند الشاعر، وكلما زادت هذه المشاعر كلما تهدد الاستقرار النفسي عنده، وزادت مشاعر القلق وعدم التكيف الاجتماعي، فما يراه أمامه هو أن الحركة الوطنية قد "ران عليها الوجوم وسادها صمت أهل الكهف، وارتفعت أسهم السماسرة والدجالين، ورجحت موازين دعاة الوطنية الزائفة" (العويدات، 1964، 28)، ويظهر بوضوح أن طوقان يحاول الوقوف في وجه ما يسمى (بالأناوات) التي تعني انشطار المجتمع وتخلخله من حيث كثرة (الأنا الداخلية) الرامزة إلى تعدد الأحزاب والتوجهات، مما يسهل السيطرة عليها، بينما المجتمعات القائمة على (النحن) "مجتمعات ذات حظ من الثبات، وهي تحقق بالنسبة لأعضائها نوعًا من التوازن السيكولوجي يفقدونه إذا انفصلوا عنها" (السويف، د.ت، 124).

ومما يجدر الوقوف عنده في النص السابق وجود ظاهرتين أسلوبيتين تتكرر عند الشاعر، الأولى المفارقة والثانية الاستفهام، أما المفارقة فقد لجأ إليها الشاعر ليشكل حالةً من الإدهاش والاستفزاز بما تحمله بين طياتها من تناقض ظاهري، "يوهم المتلقي أنه يواجه موقفًا غير متسق، مما يدعوه إلى إمعان النظر فيه، ومحاولة سبر غوره لينكشف له عالم من المفارقة والغرابة" (الرواشدة، د.ت، 13)، وقد تحقق الإدهاش والمفارقة في النص السابق من كون سماسرة البلاد هم (حماتها، وبهم يتم خرابها)، وهو ما يسمى (مفارقة التحول) "إذ تبدو الصورة بدلالات معينة، لكنها تتحول إلى دلالات جديدة مغايرة لما بدأت به، كأن تكون إيجابية فتتحول سلبية، أو تكون سلبية ثم تتحول إيجابية" (الرواشدة، 22)، والأثر النفسي الذي أحدثته المفارقة أشار إليه جان كوهين وسماه (دلالة الإيحاء) وهو

مرتبط بالاستجابة العاطفية التي ترتبط بقضية ذات تأثير نفسي وعاطفي قبل أن تكون ذات تأثير عقلي ومنطقي (كوهين، 1986، 196)، فبعد أن طرح الشـــاعر عددًا من جمالية العلاقة بين الآخر ووطنه، فهم أهل نجدته وزعماؤه وحماته، جاء بالصورة المناقضة لكل هذا، فبهم يتم خراب الوطن وبيعه وشراؤه، وهذا مؤثر نفسي له وقعه على الشاعر، يزيد من حنقه وانفعاله، مما يدفعه إلى صب جام غضبه.

والظاهرة الثانية الاستفهام، فهو مما يشيع في منجز إبراهيم طوقان، حيث ساعده هذا الأسلوب في التعبير عن كثير مما يتأزم به داخله النفسي، فبنية الاستفهام في (كيف الخلاص) "هي كناية عن الحال" (المخزومي، 1986، 272)، جاءت للاســـتفهام الحقيقي، وقد عملت في الوقت ذاته على جذب المتلقي، لأنها تقطع رتابة التلقي، وتحدث المفاجآت التي تنتهك جمود التوقع، فتتكون علاقة حيوية بين المبدع والمتلقي (عصـفور، 2010، 371)، والاستفهام السابق صرخة مدوية في طياتها شعور بالحيرة والعجز.

ومما جاء في سياق تأزمه ممن باع وطنه قوله (طوقان، 2012، 187):

وطـني مُبْتلـىً بعُصبةِ (دَلَّا	لـينَ)، لا يتّقـون فيـه اللـهَ
في ثيـابٍ تُـريـكَ عِـزًّا، ولـكـنْ	حَشْوُها الذلُّ والريـاءُ سَـدَاها
ووجـوهٍ صـفيـقةٍ ليـس تَـنـْدى	بـجـلودٍ مـدبوغـةٍ تغـشاها
وصـــدورٍ كـــأنـهـــنَّ قـــبـورٌ	مـظلـماتٌ قـلوبـُهمْ مَـوْتاها
حُسِبوا في الرجال، هلْ كانتِ الأنْـ	ـــعـامُ إلَّا لمثـلِهـم أشـبـاهـا؟
يا رجـالَ الـبـلادِ يا قـادةَ الأُمَّـ	ـــةِ، مـاذا دهـاكُـمُ ودهاها؟
هل لديكم سياسة غيـر هذا الـ	قول يحيـي من النفوس قـواها

أدرك طوقان حين رأى واقع من يفرطون في أرضه حجم الكارثة وهول ما تسفر عنه، فأخذ على عاتقه مهمة التحذير والتنبيه، وقد أخذ في النص السابق يطلق صيحاته في عملية تفريغ انفعالي، لأن التفريغ الانفعالي هنا هو السبيل الوحيد للوصول إلى الراحة النفسية ومواجهة الموقف بالتخلص من الطاقات السلبية الموجودة في داخل الشاعر، فتقدير الشاعر للموقف أنه ضار ومؤذٍ ويتجاوز قدراته في التحمل؛ لذلك يفرغ ما في داخله على سماسرة البلاد فيصفهم بأبشع الصفات فهم دلالون حشوهم الذل، ووجوههم صفيقة، وصدورهم مظلمة كأنها قبور، ويهدف التفريغ الانفعالي هنا إلى إحداث حالة من التغير، وهو ما يرسخه أسلوب الاستفهام (هل كانت الأنعام إلا لمثلهم أشباها- ماذا دهاكم ودهاها- هل لديكم سياسة غير هذا القول) بدلالته على الإنكار، فمثل هذا النوع من الاســتفهام يكون "لتنبيه الســامع حتى يرجع إلى نفســه، فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب" (الجرجاني، د.ت، 119)، وهو إنكار يحمل في طياته توبيخًا ولومًا، وبشكل عام اتصفت اللغة في المقطع بما يسمى باللغة الانفعالية المشحونة بمعانٍ نفسية انفعالية.

وقد أفضى الحال بعصبة بيع الأراضي إلى الرضا بحالة الذل والهوان، والركون إلى الباغي يسوس أمورهم ويسير حياتهم، يقول (طوقان، 2012، 235):

يا حسرتا، ماذا دهى أهلَ الحِمى؟ فالعيشُ ذلٌ، والمصيرُ بَوارُ
أرأيتَ أيَّ كرامةٍ كانت لهمْ واليومَ كيف إلى الإهانة صاروا؟
سَهُلَ الهوانُ على النفوس فلم يعدْ للجرح من ألمٍ... وخفّ العارُ
همدتْ عزائمُهم، فلو شبَّت لظًى لتثيرَها فيهم، فليس تُثارُ
الظالمُ الباغي يسوس أمورَهم واللصُّ والجاسوسُ والسمسارُ

(يا حسرتا) أسلوب نداء غايته التحسر، والاستفهام الاستنكاري (ماذا دهى أهل الحمى- أرايت أي كرامة كانت لهم- كيف إلى الإهانة صاروا) إحالة إلى تأزم الداخل حين سرد صورة المتخاذلين على نحو يبعث على الاشمئزاز منهم ومن هوانهم وذلهم، فلا كرامة ولا عزيمة ولا مقاومة للظالم الباغي، كما أن هذا الاستفهام يعد طاقة قوية في الضغط على ذهن المتلقي ليسحبه إلى دائرة الحدث، ورغبة الشاعر في التغلب على القلق النفسي الذي أصابه بسبب الذل والهوان وخوفه من فقدان وطنه جعلته يبحث عن وسيلة يتخفف فيها من عبء هذا الواقع، لذلك فهو يتخذ صيغة ضمير الغائب في الخطاب ليفرغ حمولته النفسية، فيتنحى وينعزل، وينسب السلوك المعيب إلى غيره، وهذا يوحي أنه يشعر بالوحدة في وطنه وبين أهله، لأنه ينفصل عن الآخر انفصالًا تامًا، والشخص الذي يشعر بالوحدة داخل بلاده لابد أن يعاني الكآبة والقلق وعدم الاستقرار النفسي، لذلك يرى هيجل "أن تحقيق الطبيعة الجوهرية للإنسان تستدعي استنطاق وجوده في بنية اجتماعية تتضمن أنساقًا تتوافق طموحاتها، لأن مجرد وجوده غير كافٍ، بل يتطلب التجاوز إلى ما هو أبعد، أي الاتصال والتفاعل الضروريين" (بن خروف، 2011-2012، 47)، وهذا يعني أن هذا الحال قد أسلم الشاعر إلى شيء من الاغتراب النفسي الذي "ينشأ عن التناقض بين الإنسان والعالم الخارجي، بين الواقع والخيالش بين ما هو عليه وما يحلم به" (بن خروف، 17).

2-العدو الصهيوني: يعد الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من أهم القضايا في التاريخ الحديث، وهو من أكثر الصراعات تعقيدًا، وتأريخ ظهوره مرتبط بنشوء دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام 1947م، الذي نص على تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية وإسرائيلية، ثم الانتكاسة عام 1967م، وقد عمل اليهود منذ دخولهم إلى أرض فلسطين على الإفساد فيها، وقتل أهلها وتشريدهم، مع سياسة ممنهجة لتدمير بنيتها المجتمعية والثقافية والدينية، فهو صراع أيدلوجي ووجودي بين الغاصب والمغتصب، صراع أرض وكيان وهوية، وقد واكب الشعر الفلسطيني هذا الصراع منذ نشأته، وعمل على تجسيد صورة المحتل البغيض في إبداعاته، فالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي يحياها الشعب الفلسطيني حركت قريحة الشعراء لاستدعاء الآخر اليهودي ضمن مساحات شعرية كبيرة وممتدة "ذلك أن اليهود يمثلون الوصف والتجسيد الحقيقي للآخر بالنسبة للفلسطينيين" (زراري، 2013- 2012، 70).

ووجود هذا الآخر الذي نجح في إقامة دولة له في أرض فلسطين، فرض حضوره وبقوة في شعر إبراهيم طوقان، فرغم أن إبراهيم طوقان لم يعش حتى يشاهد نكبة فلسطين؛ حيث توفي قبلها بسبع سنين إلا أنه اتجه إلى تجسيد صورة الاحتلال، في محاولة لتأريخ هذا الواقع المرير المتلون بدماء الأبرياء، فكان موضوعه الرئيس، وكأنما أراد أن يرفع وعي الناس، وهو دور حاسم جوهري، وثوري، إضافة إلى شحذ الهمم، واستفزاز المشاعر، لمواجهة الطغيان والظلم.

لقد شارك إبراهيم طوقان شأن غيره في وصف هذا الواقع المرير، حيث أمسك بخيوط المؤامرة التي نسجتها يد الانتداب البريطاني، فتصـــدى لها وعراها دون هوادة، ولم يتوقف "لحظة منذ عام 1935م عن نظم مقطوعات شعرية ينشرها في جرائد فلسطين وفي خارج فلسطين" (الطريفي، 2008، 85)، وفي خطابه لليهود ينطلق من الإشـارات التي تثبت أن لا تاريخ يعتد به لهم، ولا أصـل تاريخي يمثلهم، لذلك فوجودهم في فلسـطين هو محاولة لإقامة وجود لهم بسرقة كيان آخر (طوقان، 2012، 96):

فجهلتمُ آباءَكم فغدوتم واحترامُ الآباءِ فيكم عديمُ

يعمد الشـاعر إلى تأكيد ضـياع هوية اليهود، على اعتبار أن وجودهم "البشـري الجغرافي كأحد مقومات بناء الهوية الإنسانية يفتقد إلى الشرعية المؤصلة جغرافيًا وتاريخيًا" (السوالمة، د.ت، 203)، وهو من أهم المنطلقات في إثبات اغتصابهم لفلسطين، ووجودهم في مكان لا ينتمون له على كافة الأصعدة، "حيث إنهم لا يمتون بصلة إلى الأمة العربية والدليل على ذلك قلة الناس الذين يدينون باليهودية" (هو، 2004، 103).

وينطلق الشـاعر في رد النزعة التي يتصـف بها المحتل من قيم سـلبية وطباع سـيئة إلى جذورها وأصـولها التاريخية فيقول (طوقان، 2012، 91):

أعداؤنا، منذ أن كانوا، (صيـارفةٌ) ونحن، منذ هبطـــنا الأرضَ، زُرَّاعُ
لم تعكسوا آيةَ الخلَّاقِ، بل رجعتْ إلـى اليـهـود بكـم قُربـى وأطبـاعُ

أدرك طوقان أن الصـراع مع اليهود "صـراع يقوم بين قوميتين مختلفتين تمثل كل منهما ثقافة خاصـة، وأهدافًا بعينها وتحاول إحداهما نفي الأخرى" (بزراوي، 2008، 129)، لذلك فهو يؤسـس لأسـلوب المفارقة بين اليهود والفلسـطينيين في أكثر من مكان، ومثل هذه المفارقات تسـمى مفارقات التقابل، التي هي في أسـاسـها متقابلات لقطبين مختلفين ومتضـادين، مما يمايز بينهما، فيضـع كل واحد في مكانه الصـحيح، فاليهود صـيارفة، وهو وقومه زراعُ أرضٍ، واليهود بلا أخلاق، ومبدأ التقابل يقتضي أن الفلسطينيين ذو أخلاقٍ رفيعة، وهذا يحقق مفهوم الرضا عن الذات والتوازن الذي هو حالةٌ من التواؤم بين الفرد وبين البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها (عبد المحســـن، د.ت، 17)، دون أن تكون هذه الأحداث أداة ضاغطة على نفسيته فتسلمه إلى المرض النفسي.

ويشـير طوقان في سـرد طباع اليهود وأخلاقهم السـيئة وإلى شـتاتهم وتيههم الذي حكم به الله عليهم فيقول (طوقان، 2012، 97):

يا يهوديُّ، هل سـمعتَ بشعـبٍ ضـلَّ حـتى فـي كـلِّ قـطـرٍ يـهـيـمُ؟
شعبُكم كالذباب في كـلِّ أرضٍ منـه شـيءٌ علـى القـَذور يحـومُ
وعـجـيـبٌ من العجائب أن يَطْـ ـلـبَ حـكـمًـا ودهـرَه محـكـومُ

بما أن ثقافة طوقان ثقافة عربية أصيلة، استمدها من الموروث الثقافي العربي والإسلامي، فهو يستلهم صورة التيه للعدو الصهيوني التي قضى الله بها عليهم منذ آلاف السنين، حين رفضوا الأمر بالدخول إلى الأراضي المقدسة التي كتب الله لهم، ونكصـــوا على أعقابهم بعد أن نجاهم الله من فرعون، وأســـبغ عليهم من نعمه الكثير، فكان

جزاؤهم أن تاهوا في الصحراء أربعين سنة: {قَالَ فإنها محرمةٌ عليهمْ أربعينَ سنةً يتيهونَ في الأرضِ فلا تأسَ على القومِ الفاسقينَ} (القرآن الكريم، المائدة: 26)، إن هذا "اليهودي التائه كان يفتقر إلى هوية مستقرة، كان يفتقر إلى شرعية الوجود وها هو ينتزعها على نحو غير متوقع" (زيور، 1994، 16)، والشاعر وهو يوجه خطابه لليهودي ذاته فإنما يلزمه بحقيقة تشرذمه في كل أنحاء الأرض، وخطاب اليهودي (يا يهودي) بصيغة التنكير هو تحقيرٌ وحطٌ من شأنه وتجسيد لصورته الحقة وهو كونه نكرة، وهذا تأكيد لدور اللغة أنها انعكاس لما في النفس من أفكار ورغبات لا تستطيع النفس صبرًا عليها فتلجأ إلى تفريغها، ثم بعد ذلك يردف بصورة مستحدثة لليهود خرجت عن تلك الصور التقليدية المعروفة عنهم كتشبيههم بالقردة والخنازير، وهي تشبيههم بالذباب الذي يحوم حول القاذورات، وهو في هذا التشبيه يستند إلى خبرات غنية ومعارف كافية بطبيعة اليهود، ومن هذا المنطلق فالمعرفة العميقة بما يصفه الأديب تجعل "الصورة التي يرسمها في أدبه غنية ودقيقة وتفصيلية" (حمودة، 2010، 15).

والشاعر لا يغفل في ديوانه عن حكاية وحشية اليهود وقسوتهم (طوقان، 2012، 211):

يا قومُ ليس عدوُّكم ... مِمَّن يلين ويرحمُ

يا قومُ ليس أمامكم ... إلا الجلاءُ فحزِّموا

تظهر السمة الواضحة في خطاب طوقان أنه قد لا يسمي عدوه باسمه أحيانًا على نحو المقطع السابق، وإنما "يأتي بقرائن وإشارات وعلامات تدل دلالة مباشرة إليه، فتبني القصيدة موضوعًا على أفعاله القميئة الوحشية" (السليماني، 2006، 456-457)، إنه غالبًا ما يشير إلى طغيان العدو الصهيوني وأفعاله الاستلابية في ظل ممارساته القمعية التي مارسها وبقوة بالغة وبنزعة لا إنسانية على الشعب الفلسطيني، فهو عدواني يحب القتل لا يثبت وجوده "إلا بالقتل وسفك الدماء، وكأنه يقول للعالم: أنا أقتل إذن أنا موجود" (شاكر، 2004، 180)، فهو يهدف إلى صناعة الخوف من أجل رسم صورة أسطورية عنه، يقول (طوقان، 2012، 97):

يرقبون الأطفالَ مِنَّا فإن لا ... حُوا، رمَوْهم، فهالكٌ وكَليمُ

في يديهم سلاحُ قومٍ...عليهِ ... (أسَدٌ) في حديده مختومُ

نادهم يقذفوا القنابلَ واصرخْ: ... "شعبُ صهيونَ أعزلٌ مظلومُ"

تؤمن نظرية الحركة الصهيونية "بالقتل شريعة لها؛ وباغتصاب أرض الآخر، وتهجيره منها عنوة وقهرًا" (جمعة، 2009، 83)، إن القتل بدون رحمة ثم ارتداء ثوب الضحية من ملامح شخصية العدو، "وآلية الدعاية الصهيونية تستمر في استخدام هذا النوع من التهديد ضد فلسطين لتبرير الاحتلال والهجوم على فلسطين، والدفاع عن أمنها وانتصاراتها بكل السبل" (اللودي، 2019، 184)، بل جعل هذه الدعاية أداة إثبات لشرعنة همجيته، ويعد اعتناق العنف ثم الإنكار عند اليهود "ضمن أكثر آليات الدفاع النفسي تدميرًا" (اللودي، 184) للآخر الفلسطيني، حيث "تختلط شخوص المسرح الدموي ويأخذ القاتل وجه الضحية" (ياغي، 1999، 115)، والعدو يختار الأطفال من بين فئات الشعب الفلسطيني لأنهم الأكثر ضعفًا وبراءةً، ومع أن كل القوانين الإلهية والأعراف الدولية تسعى جاهدة لحماية الطفولة وسن القوانين إلا أن اليهود لا يراعون فيهم إلًّا ولا ذمةً.

والعدو لا يهدف بإجرامه إلى قتل الأشـــخاص فحســـب؛ إنما تدمير المكان وتعطيله إلى حد ضـــياع الهوية والانتماء، وهذا ما أدركه شعراء الأراضي المحتلة ومنهم إبراهيم طوقان، فانعكس ذلك على شعره الذي سعى من خلاله إلى رسـم طابع المأسـاة والفجيعة، يقول في تصـورٍ سـلبيٍّ للمكان يفتح على فضـاء الواقع المرير (طوقان، 2012، 101):

لَهْفي على البلد الكئيـ ـبِ، تعطَّلـتْ أسواقُـهُ
عـارٍ كما اعـروى الخَريـ ـفُ، تساقطتْ أوراقهُ
خفقـتْ جوانحُه أسًـى وتقـرَّحـتْ آمـاقـهُ
هـذا عـدوُّكَ، لا يـرُعْـ ـكَ، وهـذه أخـلاقـهُ

يوغل الشاعر في تحسس المأساة (لهفي)، ويشحن النص بشحنة من المعاناة، التي شكلتها بشاعة الأفعال (تعطلت- تساقطت- خفقت- تقرحت)، ومعطيات الكآبة (الكئيب- الخريف- أسى) بما لهذه المعطيات من دلالات "الضياع والتشرد والموت" (الخوالدة، 2012، 250)، التي تعكس صور العدوان المسلط على الفلسطيني، وهذه الصور السلوكية هي في جانب منها نوع من أنواع السادية، التي هي من منظور علماء النفس "الشعور بالمتعة عند إيذاء الآخرين" (طبيشات، 2011، 109)، إذ يبدو بوضوح أن هناك هيمنة لـ(الهو) عند اليهودي، الذي لا يعترف بالقيم والقوانين، ولا يتحكم في غرائزه العدوانية، ويسعى لإشباعها على حساب الأنا العليا التي ووظيفتها الأساسية "السعي نحو تحقيق المبادئ الأخلاقية والكمال والتحكم في السلوك" (العيسوي، 2000، 192)، يقول واصفًا عدوه (طوقان، 2012، 96):

وهضمتم حقَّ الجوارِ وصحتـمُ: "أيها الناسُ حقُّنا مهضومُ"
كـلـكم شاهدٌ على الحـقِّ زُورًا هـل أتاكـم مـن شأنه تحريمُ!؟

الوجود الحقيقي للأمم والثقافات لابد أن يسـتند إلى هوية تاريخية وثقافية "وإلى معايير قيمية ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزًا للاستقطاب العالمي والإنساني" (السوالمة، د.ت، 207-208)، وإسرائيل تتجرد من هذا، وتمضي كشيطانٍ رجيمٍ في صناعة الخوف، وهي مع ذلك تُشْعِرَ العالم بأنها مظلومةٌ وحقها مهضـوم (أيها الناس حقنا مهضـوم)، "واسـتمرار الوهم بالاضـطهاد يخلق في الكائن اليهودي حالة من عقدة الاضطهاد، إذ يتحول العالم إلى شر يحيط باليهود واليهودية" (عبد الخالق، 2014، 360)، وهذا مرتبط بصفة من صفات اليهود لازمتهم عبر تاريخهم الطويل وهي الكذب وشهادة الزور.

والشـاعر لا يغض الطرف عن تفكك قومه وخلافاتهم الحزبية التي شـجعت الأخر المعتدي على أن يعيث في بلادهم فسادًا، فانتهى بهم الأمر إلى ضياع بلادهم بدلاً من تحريرها وطرد المعتدي (طوقان، 2012، 243):

مالكم بعضُكم يمزّق بعـضًا أفَـرغـتـم من العـدوّ اللـدودِ؟
اذهبوا في البلاد طولًا وعرضًا وانظروا ما لخصمكم من جـهودِ
والمسوا باليدين صرحًا منيعًا شـاد أركـانَـه بعـزمٍ وطيـدِ
شـاده فـوق مـجـدكـم وبنـاهُ مُشمخـرًّا على رُفـات الجـدودِ
كلُّ هذا استفاده بين فوضى وشِـقـاقٍ وذلّـة وهُـجـودِ
واشتغالٌ بالتُّرَّهات وحـبِّ الذ ات عـن نافع عـمـيـمٍ مـجـيـدِ

التفت إبراهيم كثيرًا إلى قضايا الخلاف بين أفراد شعبه، وحملها مسؤولية ضياع وطنه، وقابل بين حالهم وحال عدوهم الذي يشيد مجد دولته بعزم وقوة، مستغلًا هذا الشقاق والفوضى، والشاعر في هذا المقطع يبلغ درجةً عاليةً من الإحباط حين يستحث قومه من خلال أفعال الأمر (اذهبوا- انظروا- المسوا)، وفعل الأمر يأتي هنا على أصله، وهو "أن يكون طلب الفعل على سبيل الإيجاب" (هارون، 2005، 114)، ثم يشهد النص تحولًا من الأمر إلى الماضي (شاده – استفاده) وهذا يعني "الدلالة على أن العمل كان قد تحقق في الماضي، واستمر تحققه إلى اللحظة التي يدار فيها الكلام" (المخزومي، 1986، 132)، أي امتداد زمن الخلافات بين المتناحرين، وامتداد تمكن الآخر من بلادهم في ظل غفلتهم، والتحول في منظومة الخطاب من الأمر إلى الماضي يعني أن الذات تحاول إثارة الانتباه إلى دور الآخر الذي يمثل السلطة والقوة، الذي يستلب من الذات كل ممكناتها وقوة وجودها، لذلك يتجلى بوضوح العجز عن تقبل الواقع الخارجي (الاحتلال)، و(المتناحرون من بني جلدته)، وشكل هذا صراعًا مع (الأنا الأعلى) في داخله الذي ينشد الحق ويتسامى عن كل ما يخالف الحق والقيم والمثل.

المحور الثاني: حيل الدفاع النفسي في مواجهة الآخر: شكَّل الاحتلال أزمة نفسية واجتماعية وسياسية عند طوقان اكتوى بنارها، وحاول بكل ما أعطي من قوة مقاومتها، فظهرت بعض الحيل والآليات الدفاعية النفسية في شعره ضد الآخر، وكانت تمثل استجابة للتأزم والضغط النفسي، يتغلب بها على الإحباط والصراعات، وهذه الوسائل تعمل بطريقة غير شعورية تصبح مع الوقت ضمن نمط الشخصية، وتؤثر في سلوك الفرد وتميز أعماله، وإذا تم الاستعمال المفرط للميكانيزمات الدفاعية، واتخذت نموذجًا معينًا أصبحت مظهرًا من مظاهر الاضطراب النفسي (ديبون، 2016، 125)، ولا ترمي هذه الميكانيزمات إلى حل العقدة أو المشكلة بقدر ما ترمي إلى وقاية الذات وحمايتها مما يخل بتوازنها في الموقف الداخلي والخارجي (الجيزاني، 2009، 4).

ولجوء الذات إلى استعمال حيل الدفاع وآلياته مرده إلى عاملين أساسين هما: التهديد الخارجي الذي يواجه الفرد على مستوى البقاء الطبيعي، والتهديد الداخلي الذي يأتي نتيجة النزوات والأفكار والمشاعر والرغبات التي تظهر لدى الفرد ولا تناسب معايير الواقع الاجتماعي الذي يعيشه، فيلجأ إلى الوسائل الدفاعية، وقد تفاوتت هذه الحيل بشكل عام بين كثير من كتب علم النفس وظهرت أكثر من أربعين حيلة من حيل مواجهة الأزمات النفسية والصراعات، ومنها على سبيل المثال كتاب الأنا وميكانيزمات الدفاع (فرويد، 1972، 46-127)، وكتاب الشخصية والصحة النفسية (الداهري وآخرون، 1999، 61-68)، وكتاب الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية (عبيد، 2008، 220-222)، وكتاب سيكولوجيا النمو الإنساني بين الطفولة والمراهقة (غباري، وأبو شعيرة، 2009، 98-102)، وبحث بعنوان الميكانيزمات الدفاعية وعلاقتها بالعصابية والرضا عن الحياة لدى طلبة جامعة الأقصى (جودة، 2009، 410-414).

والحيل الدفاعية التي ظهرت في شعر إبراهيم طوقان ارتبطت بالظروف التي عاشها في جانبها السلبي، وانعكست على تصوراته ورؤيته للآخر وتعاطيه مع الأحداث، حتى أصبحت تُكوِّنُ سلوكه الفردي، وتوجهه الشعري، بوصفها نوعًا من التنفيس والتخفيف من الضغط الذي يمثل معيشة يومية في ظل الانتداب ثم الاحتلال

اليهودي، لذلك فإن أكثر الوسائل الدفاعية تهدف في أساسها إلى الحصول على الشعور بتقدير الذات، وإلى إبعاد التوتر والخوف، ومن أهم هذه الحيل عند طوقان:

1- **الرفض**: "هو رفض الاعتراف بالحقيقة أو الواقع الخارجي أو الداخلي، وينشط ليخدم إنكار الشخص الشيء الذي يثير الألم" (السيد، 2017، 19) أي رفض الاعتراف بوجود خبرات غير سارة وذلك لحماية النفس (فرويد، 1972، 84)، مما "يحرر من القلق والشعور بالذنب ويشعر بالارتياح والتوافق مع الموقف" (الداهري وآخرون، 1999، 61)، ومن علامات الرفض "الشعور بعدم الأمن" (زهران، 2005، 17)، والرفض رد فعل يرد بها المرء على الخيبة والإحباط والحرمان، وذلك بأن يهاجم مصدر الخيبة والألم، وقد ظهرت هذه الميكانيزمات الدفاعية عند الشاعر في موقفه الرافض لسلوك الآخر ووحشيته، مما جعل الشاعر ينفعل ضده لا شعوريًّا وهذا يؤكد أن "الآثار الأدبية تقدم وجهة نظر واقع الإنسان ووسطه، كما تقدمها حول الكيفية التي يدرك بها الإنسان في الوقت نفسه هذا الوسط وهذه الروابط التي يقيمها معه" (نويل، 1997، 10).

إن ذات الشاعر ترفض بطش الآخر ووحشيته، وجاء هذا الرفض للرفع من قيمة الذات وتأكيد دورها في المقاومة والمواجهة، فتدفع (الأنا) بذلك عن وعيها "التوتر والقلق، وتقيه مشاعر العجز والفشل والخوف والخجل والرثاء للذات واستصغارها" (راجح، 1968، 476)، يقول (طوقان، 2012، 96-97):

حسبُكم، لا يبارك اللهُ فيكم ... أن شيطان بغيكم لَرجيمُ
فَلَوَ أنَّ النجومَ أمستْ رُجومًا ... ما عدتْكم واللهِ تلك الرجومُ...
والعنِ الإنكليزَ واحملْ ظُباهم ... إنَّ نكرانَ فضلهم لَجسيمُ
لبنُ الأرضِ فاض سُمًّا زُعافًا ... ودمًا، فانزلوا بها وأقيموا
واشربوه ملءَ البطونِ هنيئًا ... هكذا تشرب الذئابُ الهِيمُ

إن الغاية من هذا الرفض والهجوم هو تحقيق التوازن النفسي، فالبقاء تحت الاحتلال دون تنفيس أو مقاومة يخل بمقدرة الذات على التقبل والتعايش، ويؤطرها ضمن إطار الجبن والتقهقر وعدم القدرة على مقاومة الألم، وهو ما يفضي إلى رفض الذات بل إلى الصراع النفسي الذي يعاني منه الإنسان نتيجة عجزه وضعفه عن مواجهة ما يؤذيه، لذلك فإن آلية الرفض كوسيلة دفاعية "تؤدي وظيفة نفسية للفرد، هي حمايته من الإدراك الصحيح للأحداث المحيطة به، التي تهدد أمنه النفسي وتقلل من تقديره لذاته" (محمد، 2018، 124)، لذلك يغلب على المقطع معجم لفظي متأثر إلى حد كبير بحالة المقاومة والرفض التي يعيشها الشاعر، وتتناسب في الوقت ذاته مع وحشية الاستعباد والظلم التي كرسها الآخر المرفوض (حسبكم- لا يبارك الله فيكم- والعن الإنجليز)، كما أن مثل هذه المعجم اللفظي هو إشارة إلى أن الشعور بتهديد الأمن قد يزلزل كيان الشخصية ويدفعها للغضب ويجعل المرء يسارع إلى دفع المخاطر عن حياته والبقاء في حماية وأمان (موسى والعمروسي، 2011، 12).

ويظهر من النموذج السابق وغيره أنه تتحقق لدى الشاعر في معجمه اللغوي ما يسمى "العائلة اللغوية" حيث توارد الألفاظ التي ترجع في حقولها الدلالية إلى: (حقل الموت والقتل والدمار)- (حقل التحدي والمقاومة)- (حقل

الحزن والألم)، وبهذا فطوقان ينتج النظام اللغوي الخاص بأسلوبه ويرسخه بانتظام، على نحو يحدد معجمه الشعري الذي أدار فيه "ألفاظا بأعيانها، وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ" (الجاحظ، 2003، 174/3)، ولهذا علاقة بالحالة النفسية التي تسيطر على الشاعر من حزن وغضب ورغبة في الثورة والمقاومة، ومن هنا كان هناك ربط واضح عند الشاعر "بين العمليات الكلامية العقلية بتلك الوجدانية النفسية" (كعواش، 2010، 4).

ومن صور هذا الرفض عند الشاعر حينما يجد شعبه يعيش مرحلة التحول السالبة في التخلي عن الوطن فإنه يرفض هذا الواقع، مؤكدًا أن بلاده تستحق الصمود في وجه من أراد أن يغتصبها، فهو يجاهد ما استطاع أن يثقل نفسه بروح الاغتراب العاطفي والنفسي والمكاني والزماني نتيجة "لظروف الحياة ومشكلاتها، وأزمات العصر، فضلا عن الدوافع الأخرى المتمثلة في النزاعات والصراعات السياسية والاجتماعية" (الفلاحي، 2013، 16)، يقول (طوقان، 2012، 91):

باعوا البلادَ إلى أعدائهم طَمَعًا	بالمال لكنَّما أوطانَهم باعوا
قد يُعذرون لَوَ أنَّ الجوعَ أرغمهم	واللهِ ما عطشوا يومًا ولا جاعوا
وبُلْغَةُ العارِ عند الجوعِ تلفِظُها	نفسٌ لها عن قَبول العارِ ردَّاعُ
تلك البلادُ إذا قلتَ: اسمُها "وطنٌ"	لا يفهمون، ودون الفَهْمِ أطماعُ
يا بائعَ الأرضِ لم تحفِلْ بعاقبةٍ	ولا تعلَّمتَ أنَّ الخصمَ خَدّاعُ
لقد جنيتَ على الأحفاد، وا لَهَفي	وهم عبيدٌ، وخُدَّامٌ، وأتباعُ

يرفض طوقان وبشدة بيع أراضي وطنه، وهو يتخذ هذا الموقف إرضاء لـــ(لأنا الأعلى)، الذي يمثل الضمير الحي (فرويد، 2000، 116)، فكون الشاعر لا يتخذ موقفًا رافضًا ضد هؤلاء الذين يفرطون في وطنه يعني أنه وصل إلى أعلى درجات التقبل لواقعه، وكأنما يعيش نوعًا من العجز وفقدان الثقة، وأزمة الهوية داخل المحيط الذي يعيش فيه، وهو ما لا يرغب فيه ولا يريده، وهو لا يكتفي برفض موقفهم وإنما انطلق في مهاجمتهم مقررًا فداحة فعلتهم التي ستمتد إلى الأحفاد، فسيكونون عبيد المحتل وخدَّامه، وهذا التصور يؤذي ذاته ويظهر خوفه من المستقبل المجهول، والخوف من المستقبل سلوك تعرِّفه الدراسات النفسية بأنه "الشعور بعدم الارتياح، والتفكير السلبي تجاه المستقبل، والنظرة السلبية للحياة، وعدم القدرة على مواجهة الأحداث الحياتية الضاغطة، وتدني اعتبار الذات" (شند، 2015، 615)، ويظهر في هذا التصور بعض الحاجات السيكولوجية التي تسعى إليها الذات كأداة في خفض حالات القلق والمشاعر السلبية، مثل الحاجة إلى الحرية، والحاجة إلى القوة حتى ترتفع قيمة الذات.

ويمثل الرفض صورة الاستنكار لسلوك التناحر والعداء بين بني جلدته، مع التنبيه وبعث الهمة لتغيير الواقع، وهذا يدل على الحالة النفسية التي دفعت الشاعر لاستخدام هذه الآلية الدفاعية التي يثبت من خلالها عدم رغبة الذات في الشعور بالخيبة والانهزام، أو الشعور بالانتماء إلى جماعة هو فرد منها "إلا أنه لا يرتضي معاييرها ولا يتوحد بها، ولا يشاركها ميولها واهتماماتها، فهو ينتمي إليها شكلًا وليس قلبًا" (عبد القادر وآخرون، د.ت، 68)،

وفي هذا محاولة لتعزيز تقدير الذات، فالنظريات النفسية تشير إلى "أن تحقيق الذات يرتبط ارتباطًا كبيرًا بالدور الاجتماعي الذي يقوم به الفرد" (شاذلي، 2001، 16)، يقول (طوقان، 2012، 243):

مالكم بعضُكم يمزّق بعضًا أفَرغتم من العدوّ اللدودِ؟
اذهبوا في البلاد طولًا وعرضًا وانظروا ما لخصمكم من جهودِ
والمسوا باليدين صرحًا منيعًا شاد أركانَه بعزمٍ وطيدِ
شاده فوق مجدكم وبناهُ مُشمخِرًّا على رُفات الجدودِ
كلُّ هذا استفادة بين فوضى وشِقاقٍ وذلّة وهُجودِ
واشتغالٌ بالتُّرَّهات وحبِّ الذ ات عن نافع عميم مجيدِ
لا سمتْ أمَّةٌ دهتْها خطوبٌ أرهقتْها، ولا يثور فتاها

2- **السخرية والفكاهة:** وتسمى "ميكانيزمات الضحك" (عبد الحميد، 2003، 112)، وهو "ميكانيزم غريزي طبيعي نستطيع من خلاله أن نحول الألم إلى متعة أو سرور، وهو في جوهره بمنزلة القطع في الاستمرارية الخاصة بعملياتنا العقلية، وفي تدفق التفكير، إنه يوقف التيار الخاص بالنشاط العقلي، ويمنعنا من أن نجثم في موقف مثير للضيق" (عبد الحميد، 127)، وقد أشار فرويد إلى هذه الحيلة في كتابه (النكات وعلاقتها باللاوعي) (Jokes and their relation to the unconscious) الذي صدر عام 1905م، ولم تتوفر له نسخة باللغة العربية، حيث نظر إلى "الفكاهة فاعتبرها واحدة من أرقى الإنجازات النفسية للإنسان، وتصدر الفكاهة في ضوء التصور الفرويدي عن آلية (ميكانيزم) نفسية دفاعية في مواجهة العالم الخارجي المهدد للذات، وتقوم هذه الآلية الدفاعية على أساس تحويل حالة الضيق أو عدم الشعور بالمتعة إلى حالة من الشعور الخاصة بالمتعة أو اللذة"، (عبد الحميد، 2003، 128) وبذلك "نظر فرويد إلى الفكاهة على أنها النشاط الخاص لـ(لأنا الأعلى)، الذي يحاول تخفيف حالة القلق التي يشعر بها (الأنا)" (عبد الحميد، 131)، وحيلة السخرية والفكاهة تكون ناتجةً عن انفعال، ووظيفتها السيكولوجية هي تغطية "عجزنا عن حل أزماتنا، وأنها تغور عبر تناقلها إلى ما هو أعمق سيكولوجيًّا بتحويل قباحة الواقع إلى مألوف" (صالح، 2018، 6)، فالسخرية دالة على العقل الجمعي لمجتمع معين وما يمر به من إشكالات وأزمات، يستخدمها الأدباء كأسلوب للنقد والتعبير عن التمرد، يقول طوقان موجهًا حديثه للانتداب البريطاني (طوقان، 2012، 219):

قد شهدنا لعهدكم بالعدالهْ وختمنا لجندكم بالبسالَهْ!
وعرفنا فيكم صديقًا وفيًّا كيف ننسى انتدابه واحتلالهْ
كلُّ (أفضالكم) على الرأس والعيـ ـن، وليست في حاجةٍ لدلالهْ
ولئن ساء حالُنا فكفانا أنكم عندنا بأحسن حالهْ
غيرَ أنَّ الطريقَ طالت علينا وعليكم.. فما لنا والإطالهْ؟!
أجلاءً عن البلاد تُريدو نَ فنجلو، أم مُحْقَنا والإزالهْ؟

قد تكون هذه الآلية نوعًا من التكوين العكسي، الذي هو محاولة لا شعورية للتمويه عن دافع دفين يُظْهِر في سلوك الإنسان عكس ما يضمره في أعماقه (راجح، 1968، 479)، وربما تعرف أدبيًّا بالمفارقة اللفظية وهي "شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما، في حين يُقْصَد منه معنىً آخر، غالبًا ما يكون مخالفًا للمعنى السطحي أو الظاهر... ويجتمع فيه أكثر من عنصر، فهي تشتمل على عنصر يتعلق بالمغزى هو مقصد القائل.. وتشتمل كذلك على عنصر لغوي، بلاغي هو عكس الدلالة" (القاسم، 1982، 144)، وتكون هذه الآلية عندما لا يريد الشخص تقبل الواقع فيعبر عن ما يكرهه بطريقة معاكسة، فالشاعر في النص السابق يظهر ساخرًا من الانتداب، وأسلوبه غاية في التودد والاعتراف بفضل الانتداب الذي استلب أرضه، وقتل أبناء شعبه وهجرهم، ففي سخرية الشاعر "لين أشبه بلين الافاعي" (زوين، 2018، 59)، وقوام هذه السخرية هو الأسلوب الحواري من طرف الشاعر الذي شخص الآخر المرفوض أمامه متوددًا إياه على سبيل الازدراء، وهذا يعد من بلاغة المقطع لمخالفته مألوف المتلقي وتوقعاته، ثم المفارقة بين حاله وحال الانتداب الذي يعمق من واقع الشاعر المؤلم، وأخيرًا التهكم بالأسلوب الإنشائي في البيتين الأخيرين الذي خالف فيه الشاعر المتوقع أيضًا، فقلب فيه صورة الواقع إلى فضاء يمتزج فيه الألم بالسخرية والفكاهة، وكل هذه الأساليب هي تقنيات نفسية اتخذها الشاعر لتخفيف القلق الذي أحس به، وللتنفيس عن الداخل المأزوم الذي يؤرقه، يقول (طوقان، 2012، 231):

أنتمُ (المخلصون) للوطنيَّهْ أنتمُ الحاملون عبءَ القضيَّهْ!!
أنتمُ العاملون من غير قولٍ باركَ اللهُ في الزنود القويَّهْ!!
و(بيانٌ) منكم يعادل جيشًا بمُعدَّاتِ زحفه الحربيَّهْ
و(اجتماعٌ) منكم يَرُدُّ علينا غابرَ المجدِ من فتوح أُميَّه
وخلاصُ البلادِ صار على البا بِ، وجاءت أعيادُه الورديَّهْ
ما جحدنا (أفضالَكم) غيرَ أنَّا لم نزل في نفوسنا أُمنيَّهْ
في يَدَيْنا بقيةٌ من بلادٍ ... فاستريحوا كي لا تطيرَ البقيَّهْ

إن السخرية من الأساليب التعبيرية التي تمثل الشعور بالتعالي المختلط بالكره، لذلك فهو يستدعي التكرار (أنتم المخلصون- أنتم الحاملون- أنتم العاملون) ليكون "أشفى لنفس القائل وألذع لنفس المتهكَم به" (السيد، 1986، 130)، كما أنه يبالغ في تصوير المتخاذلين على سبيل السخرية والتعريض والتندر، حيث يعقد علاقات وصور جديدة لما ألفه المتلقي واعتاده عن هذه الفئة المتقاعسة المتخاذلة، فهم مخلصون للقضية- حاملون همها عاملون عليها - بيانهم أقوى من زحف الجيوش واجتماعهم طريق المجد، "لذا يمكن القول بأن السخرية أرقى أنواع الهجاء؛ لأنها تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر علاوة على التمكن وسعة الخيال" (عاشور والزوام، 2019، 580)، وما ذاك إلا كنوع من التنفيس عن الذات، والدفاع عن أمنها النفسي حين تخرج هذه المشاعر السلبية، لأنه غالبًا لا تعد مثل هذه السخرية "ضربًا من العبث والخيال" (عاشور والزوام، 576)، بل مما عاناه الشاعر ومر به من قهر وخيبة أمل ومرارة الواقع، ولذلك فإن هذه الآلية "لا تعالج أسباب الإحباط أو الصراع؛ وإنما تعالج الأعراض الناجمة عنهما، فهي أساليب تؤدي إلى توافق مؤقت" (الداهري وآخرون، 1999،61).

3- **الانتماء:** نتيجة للقلق الذي يعتري الإنسان فإنه يبذل جهودًا واعية وأحيانًا خداعية للاحتماء بالانتماء وحب الآخرين (عبد الرحمن، 1998، 437)، وهذا ما أدركه طوقان حين أخذ يُظْهِر في مواضع كثيرة تأكيد حسه الوطني وانتمائه لوطنه، ليحمي ذاته من القلق والاغتراب العاطفي والنفسي والمكاني والزماني، وليتجنب أزمة الهوية داخل المحيط الذي يعيش فيه، إذ يشكل الانتماء عنده "ضربًا من الحماية، حالة إنسانية اهتدى إليها في ظل تلك الفوضى الاجتماعية والنفسية والسياسية التي يعيشها" (طويطو، ولحيلح، 2023، 79)، وكان هذا الانتماء نوعًا من الفخر والتغني بوطنه، ولعل شعر الفخر العربي كله هو آلية من آليات الدفاع النفسي ضد عدم الثقة بالنفس، أو أسلوبًا من أساليب الذات في إقناع الآخر بأهمية (الأنا) (محمد، 2012، 11)، يقول (طوقان، 2012، 293-294):

موطني الجلالُ والجمالُ	والسناءُ والبهاءُ	في رُباكْ
والحياةُ والنجاةُ	والهناءُ والرجاءُ	في هواك
موطني الشبابُ لن يكلَّ	همُّه أن تستقلَّ	أو يبيدْ
نستقي من الردى	ولن نكون للعدى	كالعبيدْ
موطني الحسامُ واليراعُ	لا الكلامُ والنزاعُ	رمزُنا
مجدُنا وعهدُنا	وواجبٌ إلى الوَفا	يهزّنا

الانتماء أحد أهم الاحتياجات الأساسية التي يسعى الفرد إلى الحصول عليها، وتركيز الشاعر على الانتماء يدل على قوة الوجود لديه، وهي تلك "القوة الدائمة الدفع والتوجيه والتنظيم لنشاط الفرد بنية تحقيق وجوده والوصول إلى درجة مناسبة من الإنسانية الكاملة" (عبد الغفار، 1976، 204)، فحاجة الإنسان إلى الانتماء "تساعده على أداء معتقداته كمناسك، وتكوين شعاراته الوطنية والدينية والاجتماعية، فكل تلك الأمور مظاهر طبيعية تشير إلى أمر واحد ألا وهو الحاجة إلى كيان أشمل وأقدر وأكبر يستمد منه الأفراد الشعور بالقوة ويفهم منها معنى لوجوده" (الحربي، 2010، 25)، وقد وظف الشاعر اللغة لتجسد انتمائه من خلال التكرار (موطني)، الذي يعمل باتجاه فتح حالة من الضيق وكشف الحزن، ومن خلال ضمير المتكلم (موطني- نستقي- مجدنا- عهدنا- يهزنا) الذي يؤدي دورًا مهمًا في التعبير عن ذاته المتضخمة بحضور الوطن، ويعبر أيضًا عن إقصاء الآخر المرفوض، الذي يدعي مشاركته في هذا الوطن، والمراوحة بين ضمير المتكلم المفرد والجماعي يعبر عن التلاحم بين الوعيين الذاتي والجماعي، فهما في حالة تكامل وتداخل، كما يعكس فاعلية القوى الاجتماعية في علاقتها بالوطن، ويلحظ أن حالة الاندماج بين الذات والجماعة بين الأنا الفردي والأنا الجمعي تجسدت في حضور الوطن والانتماء إليه، بينما كانت في حالة انفصال تام في مواضع المتاجرة بالوطن وبيع أراضيه والتناحر والفرقة.

واللغة في النص السابق في إطارها الدلالي ترصد مشاعر الشاعر في علاقته الجدلية مع الوطن والانتماء إليه، فهي تتعامل مع الوطن في كينونته على المستوى النفسي (موطني الجلال والجمال والسناء والبهاء) والمستوى الواقعي (موطني الحسام واليراع- مجدنا وعهدنا)، وفي الأول يعمل الشاعر على استحداث علاقات جديدة بين الدال والمدلول لتتخطى المعجم المألوف، في انزياحات مجازية تفاجئ المتلقي وتستفز وعيه، أما الثاني فيتشكل الوطن

بوصفه الفاعل في إحساس الشاعر بالأمان، وهو معطى نفسي ينشده الشعراء حيث القيمة الحقيقة للوطن متى ما وفر الأمن والحماية لساكنيه، وبغير ذلك لن يكون سوى حيز طبيعي ذي أبعاد هندسية (المغيض، 1989، 190).

ويستمر الشاعر في حكاية تعلقه وانتمائه للوطن فيقول (طوقان، 2012، 290):

لا حِمى مثلَ فلسطين حمىَ
مجدُها سُطِّر في لوحِ السما
أي مجدٍ مثلُهُ مهما سما
إنَّه نورٌ يضيء الأنجما
يا فلسطينُ دمي وَقْفٌ على
أن تفوقي الشمسَ مجدًا وعُلا
وعلى العهدِ ألا أقبلا

إن الشعور بوجود وطن ينتمي إليه هو نوع من حماية النفس من الانطوائية والسلبية والتقوقع على الذات، إنه محاولة لإيجاد وضع مستقر لـ(الأنا)، يحقق الاتزان المفقود، لذلك فهو يفخر بوطنه، بل ويفخمه من خلال تجذير الوعي بهوية الوطن وتاريخه (مجدها سطر في لوح الوطن)، ومن خلال الصورة التي تصنع وطنًا مثاليًّا غايةً في الجمال والقوة، يحيل إلى شيء من الاندهاش، الذي يجذب المتلقي ويجعله مشدودًا إلى هذا المكان المتفرد، وكأن الصورة تخبر عن أثر الوطن والانتماء في نفسية طوقان، وفي تشكل (الأنا الداخلي)، فالغاية الأولى من الصورة "أن تمكن المعنى في النفس لا عن طريق الوضوح، ولكن عن طريق التأثير" (نافع، 1983، 79)، وهذا يؤكد أن الإبداع هو "مرآة عقل الأديب ونفسه، أو هو صورة من صور التعبير عن النفس... والأدب والفن صور محولة عن دوافع مكبوتة في اللاشعور" (الماضي، 1993، 150)، وهو يخاطب فلسطين (يا فلسطين) وفي عزمه أن يواجه كل أشكال الاستلاب (دمي وقْفٌ على أن تفوقي الشمس مجدًا وعلا)، فهو إنسان حر وأبيٌّ "يعلم أن الشخصية لا تكتسب إلا بالصراع والمجاهدة، وأن تحقيق الذات لا يتم إلا في ألم ومشقة... وعندما تصل الذات إلى التحرر فعلًا... فإنها عندئذ قد تستطيع أن تعلو على نفسها وأن تصل بالتالي إلى درجة الانتصار الروحي" (إبراهيم، د.ت، 200-201).

ولم يكن الانتماء لوطنه هو الحيلة الدفاعية فقط التي يحقق بها توازنه النفسي، وإنما الانتماء لجماعته وقومه، فالدراسات النفسية تؤكد أن "الانتماء إلى جماعة قوة في السلوك" (محمد، 1989، 7) كما أن العضو "الذي يشعر بالانتماء إلى جماعة معينة يزداد ولاؤه لها وشعوره بأنه جزء منها، وهذا ينعكس على أدائه لأدواره المتوقعة داخلها" (محمد، 2) يقول (طوقان، 2012، 62):

بُوركتَ مُؤتَمَرًا تألّفَ لا نزاعَ ولا شِقاقا
كم مِنْ فؤادٍ راقَ فيهِ، ولم يكنْ من قبلُ راقا
اليومَ يشربُ موطني كأسَ الهناءِ لكم دِهاقا
لا تعبأوا بمشاغبيـ ـنَ، تَرَوْنَ أوجهَهم صِفاقا

الشعور بالانتماء إلى مجتمع يتشابه في المصير وحتمية البقاء والدفاع عن الوجود يحقق نسقًا من الحماية الذاتية للفرد "حين تدهمه إحدى الكوارث الطبيعية، أو حين يتعرض لعدوان من أفراد آخرين... ويكون التلاحم والتعاون بين الفرد والجماعات هو الملجأ والملاذ... ويغدو الجميع يدًا واحدةً للسعي من أجل الاحتياجات الضرورية للفرد والجماعة" (فخري، 1991، 17)، والمقطع بأكمله طاقة إيجابية عالية، تدل على سعادة الشاعر من هذا الوفاق الوطني الذي غايته مصلحة البلاد، وهو يعمق من هذا التفاؤل حين يستلهم من القرآن إحدى سمات الجنة ويضفيها على موطنه (اليوم يشرب موطني كأس الهناء لكم دهاقا)، إذ تناصَّ هذا البيت مع قوله تعالى {وَكَأْسًا دِهَاقًا} (القرآن الكريم، النبأ: 34)، وكأنما أراد الشاعر أن يقدم لنا وطنًا استثنائيًّا، يحيل على تصور ذهني غاية في التفرد، فهو وطن يستحق هذا التلاحم، إن سلوك طوقان في النص السابق مع الجماعة يختلف عن مواقف سابقة هاجمها فيها حين باعت وطنها، فـ" كلما زاد اندماجه في الجماعة واقترب من الـ(نحن) شاعت نسبة الاتزان في أفعاله، فالـ(نحن) إذن قاعدة يستند إليها توازن الشخصية" (السويف، د.ت، 125).

وفي حيلة الانتماء الدفاعية تبرز (الأنا الواعية) التي يمكن وصفها بالمنطقية والعقلانية والمسؤولية، فهذا الانتماء للوطن يفترض حمايته ضد أي عدوان، وهنا يتحول الانتماء إلى ضرب من الشجاعة، وهو الحل والآلية التي اهتدى إليها الشاعر لترضي ذاته التي أوجعتها هذه الفوضى السياسية التي يمر بها الوطن، وهذا يعني أنه يعلي من قيمة (الأنا العليا) التي تنشد المثالية، ولا تستطيع عيش الحياة على هذا النحو، أي تحت الضغط السياسي والوجداني فسعى لإثبات القدرة على الفعل واتخاذ موقف بحثًا عن الحرية، فالإنسان "يصبح لا منتميًا حين يبدأ بالتذمر تحت وطأة شعوره بأنه ليس حرًا" (كلون، 2004، 133)، لذلك فلا بد من التغيير، وعدم انتظار الزمن ليقوم بهذا التغيير، يقول (طوقان، 2012، 103):

وطني علينا العهد جَمْـ	ـعًا أنْ نسير إلى الأمامِ
ونعيش إخوانًا على	محضِ المودَّةِ والوئامِ
ونرد عنك النازلا	تِ، مُسابقين إلى الحِمامِ
ونكونَ، في إعلاء شَأْ	نِكَ، عاملين على الدوامِ
حتى تُرى مُتَفيئًا	ظلَّ الكرامةِ والسلامِ

ورغم أن الشاعر لم يشارك في مقاومة حقيقية ضد المحتل، إلا أنه من خلال رفع الصوت بالدعوة إلى الجهاد والمقاومة يسلك حيلة نفسية لتخفف من الأزمة، إذ "لا يمكنه أن يتعايش مع هذه الصورة المبخسة وفاقدة القيمة عن ذاته" (حجازي، 2005، 299)، وهو بذلك يعمل على استبعاد الدوافع المؤلمة أو الخفية التي تثير في النفس الشعور بالذنب أو الخزي أو النقص أو القلق، وإكراهها على التراجع والبقاء في ذلك الجانب المظلم من النفس الذي يسمى اللاشعور أو العقل الباطن (عويضة، 1996، 140)، إن الشعور بالقوة هو شعور بالذات، لذلك فهي ترغب في أن تشعر أنها تؤدي دورًا حقيقيًّا في حماية الوطن، وهذا يعني أن الذات هنا تقف موقف المتعالي، وتشعر في الوقت ذاته أهمية وجودها الفردي، ولعل هذا يعد نوعًا من التعويض، الذي يعرف في علم النفس أنه سلوك هدفه إزالة الشعور بالقهر والضعف في جانب عن طريق إبراز القوة في جوانب أخرى (السيد، 2017،

23)، والذات تتخذ هذا السلوك طلبا للأمن النفسي الذي يعني الشعور بالطمأنينة والبعد عن القلق والاضطراب، وهو شعور ضروري لحياة الفرد والمجتمع فـــ "الذات بطبيعتها تستمد قوتها وشعورها بالامتلاء من الانتماء للآخر فردًا أو جماعة، لذا فإن أي نقص يصيب هذا الانتماء يقابله نقص وخواء في الذات" (البطاط، 2011، 164).

4- **طلب المساندة الانفعالية:** ويعني "إمداد الفرد الذي وقع تحت ضغط أزمة ما سواء كانت عامة أو خاصة بالدعم النفسي، ومساعدته كذلك على إعادة تنظيم ما يجول بخاطره" (النوايسة، 2013، 206)، بغية "تقليل الآثار السلبية الناجمة عما يتعرض له الأفراد حين يمرون بأزمات وكوارث مثل الحروب أو الأزمات الاقتصادية أو الكوارث الطبيعية" (النوايسة، 206)، وكل ما تقدم يؤكد أن الشخص يلتجأ إلى ما قد يسانده في إشكاليته التي يواجهها، سواء كان المسانِد أشخاصًا، أو فكرة، أو دينًا، أو جهة معينة كحيلة دفاعية تعينه وتشد من أزره (بشينة، 2011، 161)، وقد التجأ طوقان إلى الدين واحتمى به طلبًا للقوة والمواجهة، فمن "بديهيات القول إن الدين يشكل قاعدة أساسية في البناء النفسي للفرد، حتى في أقصى حالات الشدة، وهو يشكل معززًا لسلوك الطمأنينة والراحة النفسية، وعاملًا قويًّا في مواجهة المتاعب، والتغلب على الضغوطات الحياتية" (أبو دف، 2011، 49)، وكان القرآن الكريم في قمة الموارد الدينية التي استند عليها، ومن هنا فإن استلهام القرآن يعد آلية دفاعية يحقق بها نوعًا من دعم الذات وحمايتها، وبخاصة "في مواجهة الكيان الصهيوني الذي يحاول أن يستند في وجوده إلى مبررات دينية" (إسماعيل، 2012، 32) يقول (طوقان، 2012، 96):

يا يهوديُّ كيف علمُكَ بالتَّوْ	راةِ، قل لي، أم فاتكَ التعليمُ؟
بين أسفارها خلائقُ عنكم	مُبتداها ومنتهاها ذميمُ
وكفرتم بنعمة اللهِ حتى	ضاقَ ذَرْعًا بالكفر موسى الكليمُ
يشهد (التّيهُ) أنكم، شعبُ إسرا	ئيلَ، شعبٌ منذ الخروج أثيمُ
يشهد (العِجْلُ) أن ألواحَ موسى	يومَ زُغْتم أصابها التحطيمُ

أسلوب النداء (يا يهودي) فيه "توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه إلى الإصغاء وسماع ما يريده المتكلم" (حسن، د.ت،1)، مما يعني أهمية الخطاب، غير أن توظيف ياء النداء التي تأتي "لاستدعاء المخاطب البعيد حسًا أو معنىً" (حسن،2)، ثم تنكير المنادى، إضافة إلى ورود أسلوب الاستفهام (كيف –أم) الذي خرج عن غرضه البلاغي إلى التحقير، كلها أساليب تعكس النظرة الدونية التي ينظر بها الشاعر إلى عدوه، والشاعر في النص يحاول إعادة صياغة الواقع المؤلم له وفقًا لما تحفظه الذاكرة من المقومات الدينية بما يعزز هذه النظرة وهذا الانتقاص للآخر، وبذلك يكون الدين مصدرًا للإقناع، لما يحويه من حجج تسند الشاعر وتعينه، لقد أبصر ما يعانيه الشعب الفلسطيني فاستعان بالنص القرآني للتعبير عن ماضوية اليهود المزرية التي تعد تأصيلًا لما هم عليه اليوم، وبهذا تتشكل "زمنية آنية، تختصر المسافة بين الصورتين، ليتلبس كل منهما صاحبه، فكلاهما رهين موقف متأزم، أشبهت ليلته البارحة" (عيد، 1987، 59)، لذلك يبدو المقطع وكأنه كشف عن أعماق اللاوعي الفردي في مكبوت

الشاعر نتيجة لممارسات اليهود، وحتى يدعم هذا البوح اللاواعي نجده يستلهم القرآن، فيحكي حالهم مع التوراة ومع موسى عليه السلام حين كذبوه "وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة" (القرآن الكريم، البقرة:55)، ثم يشير إلى تيههم في الأرض حين حكم الله عليهم بذلك، بعدما "رفضوا الأمر بدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، ونكصوا على أعقابهم بعد أن نجاهم الله من فرعون وقومه، وأسبغ عليهم نعمه الكثيرة فكان جزاؤهم أن تاهوا في الصحراء أربعين سنة" (دويكات، 2020، 4)، {قال فإنها محرمةٌ عليهم أربعينَ سنةً تتيهونَ في الأرض فلا تأسَ على القوم الفاسقين} (القرآن الكريم، المائدة: 26)، كما عرج على قصة عبادة اليهود للعجل الذي صنعه لهم السامريُّ حين ذهب موسى إلى جبل الطور لميقات ربه {فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي} (القرآن الكريم، طه: 88)، إن مثل هذا الاستلهام يرسخ الصورة السلبية عن الآخر ويرفع من تقدير الذات، الذي هو من أهم استراتيجيات مواجهة الأحداث الضاغطة على الصحة الجسمية والنفسية للفرد.

ويستمر في استلهام تاريخ اليهودي المزري الذي أشار إليه القرآن الكريم فيشير إلى ألواح موسى التي كتب الله فيها ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من بيان الحلال والحرام والمحاسن والقبائح {وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلًا لكل شيءٍ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين} (القرآن الكريم، الأعراف: 145)، إلا أن موسى ألقى الألواح غضبًا حين رأي رآهم يعبدون العجل {ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه} (القرآن الكريم، الأعراف: 150)، يقول مخاطبًا شاعر اليهود رئوبين حين نشر قصيدة يشيد فيها بذكر اليهود وشجاعتهم (طوقان، 2012، 96):

وبطونُ التاريخِ فيها عجيبٌ ... وغريبٌ بعاركم موسومُ

أيْ رئوبينُ، أين ألواحُ موسى ... والوصايا فكلُّهنَّ قويمُ

هُنَّ عشرٌ نبذتموها جميعًا ... ورتعتم في الغيّ وهْوَ وخيمُ

ثم يعرج على قصة صيد اليهود للحيتان يوم السبت، مع أن الله حرم عليهم الصيد في هذا اليوم، فيقول (طوقان، 2012، 96):

وإذا السبتُ فيه مكرٌ وغدرٌ ... أين فيه التقديسُ والتعظيمُ؟

وعكستم آياتِها فإذا الفَتْـ ... ـلُ مُباحٌ والفسقُ فيكم عميمُ

هذا المقطع مقتبس من قول الله تعالى {واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت} (القرآن الكريم، الأعراف: 163)، وهذا الاستدعاء الديني في كل ما سبق يستهدف دعم (الأنا)، فـ" (الأنا) لا يعنى إلا بتوفير الطمأنينة، فقد أخذ (الأنا) على عاتقه مهمة حفظ الذات" (فرويد، 2000، 73-79) ، ضد كل الأخطار التي تهددها ويتعين عليها مقاومتها، وفي مقدمة هذه الأخطار العدو الصهيوني، فكون القرآن الكريم يعري طباع اليهود وصفاتهم الأخلاقية القبيحة منذ آلاف السنين فهذا يعني أن العدو يعد عدوًا استثنائيًّا له تاريخه العريق في المكر والغدر والقتل والفسق، وكل هذا يصنع مساندة وتعزية للشاعر، ويرفع من مفهوم الذات الموجبة "ويشعر بتقبله لذاته حتى عندما يفعل أشياء مخيبة لآمال الآخرين" (أحمد، 2010، 36).

وهكذا كان النص يعج بالصـــور ذات البعد الديني التي تكرس "التناص والترميز والتكثيف تماشـــيًا مع روح العصـر... ولأن الشـاعر لا يمكنه الخروج عن واقعه فهو يسـتمد ويسـتدعي الراهن في تجربته الشـعرية عبر الانفتاح على العوالم الإبداعية المتعددة... ويعد التناص الديني من أهم المصـادر التي يتكئ عليها الشـاعر لاسـتنهاض واقعه بما يملكه من خصـوصـية ومصـداقية تسـهم في خلق فضـاءات دلالية جديدة تعمق الشـعر وتجعله مفتوحًا على التأويل" (مديحة، 2020، 521)، إن الموروث الديني يعد مادة حية للخطاب الشـــعري ويرجع ذلك لثرائه، كما أنه يسهم في تبليغ مقاصد للشاعر، ويرفع من أفق التأويل عند المتلقي.

وقد جاء التناص في كل ما سبق منطلقًا نحو وظيفة نفسية هي طلب مسـاندة انفعالية، إذ يبدو تململ الشـاعر وضـجره من الواقع المزري الذي يعيشـه، فأفاد ربط السـياق بالقرآن في التخفيف عنه، كون العدو ممن ذكره القرآن بالسـوء، وهذا يعينه على صـنع حيلة دفاعية في وجه المعتدي فبدون المسـاندة أيًّا كان نوعها قد يلجأ الموجوع إلى الاستسلام وانحسار الأمل.

ولم يكن القرآن الكريم المصدر الوحيد الذي أسند الشاعر انفعاليًّا وكان تقنية دفاعية عززت من توازنه النفسي، وإنما رجع أيضًا إلى التاريخ يستلهمه، فكان من أهم المنطلقات بعد القرآن التي انطلق منها الشاعر في رفض الآخر وتحجيمه واستدعاء تاريخه المشوه، فالظواهر التاريخية والأحداث الدينية المتشكلة عبر التاريخ ليست ظواهر عابرة، وإنما تحمل في طياتها العبر، وحكايا الإنسـانية، كما أنها تدل على مقدرة الشاعر على استكناه التجارب الإنسـانية الشـاملة، وتوظيفها على نحو يخدم مقصـده، ومن هنا فإن اسـتلهام التاريخ عند طوقان ليس لمجرد السـرد للوقائع أو الاستعراض الفكري ولكنه يعتقه من لحظته الحالية، وينفخ فيه روحًا جديدة، يقول (طوقان، 2012، 95):

هـاجَر أمُّنـا ولـــودٌ رؤومُ	لا حـسودٌ ولا عـجـوزٌ عقيـمُ
هـاجـر أمّنا ومـنها أبو العُرْ	بِ، ومنها ذاك النـبيُّ الـكـريـمُ
نسـبٌ لـم يَضِعْ، ولا مزّقتْهُ	بابـلٌ أيـهـا اللـقـيـطُ اللئـيـمُ
ودمٌ في عـروقنـا لـم يُـرِقْـهُ	سوطُ فـرعـونَ والعـذابُ الأليـمُ
يعلـم الدهـرُ أيَّ أهرامِ مصر	ذلّـكـم في صـخـوره مـرقـومُ
فهَـرَمٌ خـالـدٌ يُـغشّيه ظِـلٌّ	مـن عـبوديّـةٍ لـكـم لا تـريـمُ

إن الانكسـارات وخيبة الأمل التي مُنِي بها الشـاعر جعلته يسـتدعي رموز التاريخ وأحداثه من مكمنها، ويقيم معها صلات تناصية، فيعيد سردها للوصول إلى دلالات جديدة محملة بواقعه، لقد توجه الشاعر إلى التاريخ رغبة في دعم مواقفه الحالية "وربما رهبة من وطأة زمن العجز الذي يحياه، وهربًا إلى أحضـان الماضي الذي قد يبدو مجيدًا أو مثاليًّا بالقياس إلى الحاضـر" (قاسـم، 1983، 236)، ورجوعه إلى التاريخ بدلالته القصـدية كان من خلال جدلية الحضور والغياب، التي تقوم على منطق الثنائيات الضدية التي برع فيها الشاعر: حضور الأم الرؤوم هاجر أم العرب، وحضور النسب الرفيع الذي انحدر منه الرسول عليه الصلاة والسلام، وحضور الكرامة والعزة التي لم يمرغها سوط حاكم، بينما يغيب الأصل الرفيع والنسب الكريم عند اليهود، وتغيب معه العزة والكرامة التي استلبها نبوخذ نصر حينما نسـف دولتهم، وسـباهم إلى بابل (دروزة، د.ت، 18)، ثم فرعون الذي سـام اليهود سـوء العذاب، وســخرهم عبيدًا له، وأجبرهم على بناء أهرامات مصــر، وهذا الحضــور والغياب ليس لأجل المهارة اللغوية؛ وإنما مرتبط بتصور نفسي عميق يطفو إلى الخارج من آنٍ لآخر.

يقوم الشاعر باستدعاء الأحداث التاريخية بكل ما تحمله من دلالات الماضي، ليحقق إسنادًا نفسيًّا له، وكأنما يسقط همجية اليهود على ما عانوه من استعباد طوال تاريخهم، فهم يفرغون حقدهم في الشعب الفلسطيني الأعزل، وهذا يُرجع إلى ما يسمى "علم التاريخ النفسي (psychohistory) التي تقوم منهجيته على التحليل النفسي إلى جانب التحليل التاريخي من خلال دراسة وتحليل الدوافع النفسية المحركة للأحداث التاريخية والجماعات والأفراد" (العنزي، 2020)، ومن هنا تتأكد الصلة بين علم النفس وعلم التاريخ، فلكي نتعرف على ماهية سلوك فرد أو شعب، أو ماهي العقد التي يعاني منها فلابد من العودة للتاريخ لفهم "مسببات حدوثها وظروف هذا الحدوث وزمنه" (محمد وعلجية، 2021، 119)، ومن ذلك محاولة "الكشف عن سيكولوجية اليهود منذ أن قادهم موسى من مصر، وتحليل سلوكهم وتصرفاتهم، ومدى ارتباط ذلك بأسس الديانة اليهودية كعقدة الإحساس بالاضطهاد والخوف من المجهول" (الناصري، 1993، 245)، "إن العوامل النفسية تتفاعل مع العوامل التاريخية وتتداخل بعضها مع بعض" (الناصري، 252)، لذلك اختار الشاعر من شخصيات التاريخ وأحداثه ما يوافق طبيعة الأزمة والموقف النفسي الذي يعاني منه، ويريد أن يجد له دعمًا انفعاليًّا، وكأن النص يسير في دلالتين بين الماضي والحاضر، وثنائية اليوم والأمس في سبيل تحقيق غاية مهمة مفادها: تاريخ اليهود المظلم، مما يعزز من نفسية الشاعر، ويقرب الصورة من المتلقي، ويعيد تشكيلها بما يتفق والجانب النفسي.

الخاتمة:

أولًا: النتائج:

أوضحت الدراسة وجود ارتباط عميق بين الأدب وعلم النفس، فالشعراء والروائيون هم الوجه الآخر للدراسات النفسية وينبغي أن تقدر شهادتهم أحسن تقدير (نويل، 1997، 7).

1- ظهرت جدلية الذات والآخر المرفوض في شعر طوقان، وتمخضت عن عدد من التصورات التي تكرس مفاهيم الوجود والانتماء- الإبعاد والإقصاء.

2- حضر الآخر في شعر طوقان ممثلًا للاشعور النفسي والجمعي: محتلًا ومهيمنًا، ومختل الطباع، مما انعكس على الداخل النفسي والواقع الحياتي للشاعر.

3- كشفت الدراسة عن أبرز الحيل الدفاعية التي استخدمها طوقان، وهي الرفض والسخرية ثم الانتماء وطلب المساندة الانفعالية، وكان لها دورها في اتقاء الواقع من خلال تفعيل دور الحيلة في خداع الذات، والارتقاء بالمستوى النفسي إلى درجة الاتزان.

4- ارتفع استعمال الميكانيزمات الدفاعية عند الشاعر في حالة الضغط النفسي ليحقق المعايشة الواعية للانفعالات النفسية.

5- ظهرت بعض عناصر التشكيل الجمالي في شعر الشاعر من صورة ولغة وتناص ومفارقات، أسهمت في تشكيل الذات والآخر، وفي بلورة رؤية الشاعر النفسية، التي تعكس صراع الوجود بين هويتين متباينتين.

ثانيًا: التوصيات:

1-تشجيع الباحثين على دراسة الإشارات النفسية في المؤلفات الأدبية والشعرية وتطوير قدراتهم في هذا المجال.

2-تعميق التواصل بين الباحثين النفسيين والدارسين في مجال العلوم الأدبية والنقدية، ومحاولة إيجاد مقاربات مفاهيمية وتطبيقية بينهما.

المراجع:

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد. (د.ت). *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. المكتبة العلمية، بيروت.

إبراهيم، جميل عطية؛ وعيسى، صلاح. (1991). *صك المؤامرة "وعد بلفور"*. دار الفتى العربي، القاهرة.

إبراهيم، زكريا. (د.ت). *مشكلة الحرية*، (ط.3). مكتبة مصر، القاهرة.

أحمد، محمد عويد. (2010). *مفهوم الذات وعلاقته باستخدام الحيل الدفاعية النفسية لدى طلبة جامعة القدس*. [رسالة ماجستير، جامعة القدس]. عمادة الدراسات العليا:
https://dspace.alquds.edu/server/api/core/bitstreams/f887dab9-d5a2-4648-a4d0-46d83388b044/content

إسماعيل، نداء علي. (2012). *التناص في شعر محمد القيسي*. [رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية]. كلية الدراسات العليا:
http://mohamedrabeea.net/library/pdf/c0389985-2d2c-4494-9701a2888a9a7805.pdf

بدوي، صابر إسماعيل. (2022). الدلالة الرمزية لصورة فهو الضمير وهو المعيار الذي نسير سلوكنا وفقا له، فهو الجانب الأخلاقي في الشخصية. فهو الضمير وهو المعيار الذي نسير سلوكنا وفقا له، فهو الجانب الأخلاقي في الشخصية. الذئب لدى شعراء صدر الإسلام، وبني أمية، جدلية الثبات والتغير في القيم الحضارية (دراسة سيمائية موازنة)، *مجلة كلية الآداب بقنا*، (56)، 193-275:
https://search.mandumah.com/Record/1312136

بزراوي، باسل محمد علي. (2008). *سميح القاسم دراسة نقدية في قصائده المحذوفة*. [رسالة ماجستير، جامعة النجاح]، موقع جامعة النجاح:
https://repository.najah.edu/server/api/core/bitstreams/a3cd7aee-754b-4981-961e-e6c0577133c6/content

بشينية، مولدي. (2011). تجليات الصراع وآلياته النفسية: قصيدة الذبيح الصاعد لمفدى زكريا أنموذجًا، *التواصل 2011*، (29)،149-165:
https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/27/17/3/48922

البطاط، رائد حميد مجيد. (2011). *جدلية الذات والآخر في شعر سجون العصرين الأموي والعباسي، دراسة نفسية*. [رسالة دكتوراه، جامعة البصرة]. منصة معرفة:
https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-316815-جدلية-الذات-و-الآخر-في-شعر-سجون-العصرين-الأموي-و-العباسي-درا

جاب الله، منال عبد الخالق. (2006). *الشعور بالذنب- المفهوم- القياس- العلاج*. دار المؤيد، الرياض.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (2003). *الحيوان* (ط.2). دار الكتب العلمية، بيروت.

الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت). *دلائل الإعجاز*، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر. المكتبة الوقفية والشاملة.

جمعة، حسين. (2009). *ملامح في الادب المقاوم فلسطين أنموذجا*. الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

الجيزاني، محمد كاظم. (2009). علاقة الذكاء بآليات الدفاع النفسي، *مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية*،7 ، (14)، 169-181:

https://www.iasj.net/iasj/download/8e26478e1a2f074c

جودة، آمال عبد القادر. (2009). الميكانيزمات الدفاعية وعلاقتها بالعصابية والرضا عن الحياة لدى طلبة جامعة الأقصى، *مجلة كلية التربية1* (33)، 434-405:

https://www.researchgate.net/profile/AmalJudeh/publication/328918023_Defense_mechanisms_and_their_relationship_with_neuroticism_and_life_satisfaction_among_Al_Aqsa_University_Students/links/5beb43414585150b2bb4e02c/Defense-mechanisms-and-their-relationshipwith-neuroticism-and-life-satisfaction-among-Al-Aqsa UniversityStudents.pdf

حجازي، مصطفى. (2005). *الإنسان المهدور دراسة تحليلية نفسية اجتماعية*. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت.

الحربي، عبد الله بن رمزي. (2010). *الانتماء الوطني وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينتي مكة المكرمة وجدة*. [رسالة ماجستير، جامعة أم القرى]. المنظومة:

https://search.mandumah.com/Record/532066

الحفني، عبد المنعم. (2005). *الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي*. دار نوبليس، بيروت.

حسن، عباس. (د.ت). *النحو الوافي* (ط.3). دار المعارف، القاهرة.

الحكيم، أحمد محمد. (ديسمبر 2015). وحدات المساحة عند العرب والمسلمين أصولها وقياساتها، *مجلة التعريب* 25 (49)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون بسوريا، 111-146.

حمودة، ماجدة. (2010). *صورة الآخر في التراث العربي*. الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت.

بن خروف، سامح. (2012/2011). *الاغتراب في رواية كراف الخطايا لعبد الله عيسى لحيلح*. [رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة]. موقع مبتعث:

https://mobt3ath.com/pdf.php?ext=pdf&id=4613&tit=رسالة_ماجستير_بعنوان___الاغتراف_في_رواية_كراف_الخطايا

الخوالدة، زايد. (2012). *صورة المكان في شعر عز الدين المناصرة*. دار الراية، الأردن.

الدجاني، أحمد زكي. (1999). *مأساة فلسطين بين الانتداب البريطاني ودولة إسرائيل*، دار المستقبل العربي، مصر.

الداهري، صالح حسن؛ والعبيدي، ناظم هاشم. (1999). *الشخصية والصحة النفسية*. مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر، إربد.

دروزة، محمد عزة. (د.ت). *تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم*. الدار القومية للطباعة والنشر، مصر.

أبو دف، محمود خليل صالح. (يونيو 2011). منهاج الدعم النفسي في القرآن الكريم وكيفية الاستفادة منه في الواقع الفلسطيني المعاصر، *مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية بغزة19* (2)، 47-90.

دويكات، نضال عباس. (2020). *تيه بني إسرائيل بين القران والتوراة*. الناشر شبكة الألوكة، ووقفية الأمير غازي للفكر القرآني، عمان.

ديبون، محمد. (نوفمبر 2016). الأركان السبعة لنظرية الميكانيزمات الدفاعية حسب فيبي كرامير، *مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجزائر* (25)، 115-128.

راجح، أحمد عزت. (1968). *أصول علم النفس* (ط.7). دار الكتاب العربي، القاهرة.

ربابعة، موسى. (2003). *الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها*. دار الكندي، إربد.

الرواشدة، سامح. (د.ت). *فضاءات شعرية (دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل)*. المركز القومي للنشر، إربد.

زراري، سارة. (2012-2013). *صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش دراسة في النماذج*. [رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي]. كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية: http://bib.univ-oeb.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/6151/1-مذكرة-زراري.pdf20%سارة20%.

زهران، حامد عبد السلام. (2005). *الصحة النفسية والعلاج النفسي* (ط.4). عالم الكتب، القاهرة.

زوين، حيدر عبد الحسين. (سبتمبر 2018). السخرية في شعر أحمد الصافي النجفي، *مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية بالجزائر 5* (44)، 105-127.

زيور، مصطفى رضوان؛ ومحمد، حسين عبد القادر. (سبتمبر 1994). أضواء على المجتمع الإسرائيلي: جدل السيد والعبد، دراسة في التحليل النفسي، *حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي*، (109)، 22- 9.

السليماني، أحمد ياسين. (2009). *التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر*. دار الزمان، دمشق.

السوالمة، عدوية. (2014، مارس 9-10). *أريحا (مقاربة نفسية في تفاعلات المكان واستمرارية الهوية)*، مؤتمر سدنة الغور أريحا وشاطئاها البحر والنهر: https://www.google.com/url?sa=i&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=0CAQQw7AjahcKEwiYk-yvgezAhUAAAAAHQAAAAAQAw&url=https%3A%2F%2Fstaff-old.najah.edu%2Fsites%2Fdefault%2Ffiles%2Fjericho_Conference.pdf&psig=AovVaw0bJMzeKf_sVcKhbeRvXPOQ&ust=1683851386732919

السويف، مصطفى. (د.ت). *الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة*، (ط.4). دار المعارف، القاهرة.

السيد، صالح حزين. (ديسمبر 2017). ميكانيزمات الدفاع، *مجلة علم النفس30* (115)، 17-25.

السيد، عز الدين علي. (1986). *التكرار بين المثير والتأثير* (ط.2). عالم الكتب، بيروت.

شاذلي، عبد الحميد محمد. (2001). *التوافق النفسي للمسنين*. المكتبة الجامعية، الإسكندرية.

شاكر، تهاني. (2004). *محمود درويش ناثرًا*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

الشامي، رشاد عبد الله. (1986). *الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية*. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

شند، سميرة محمد؛ أبو فايد، ديم محمود يوسف؛ وشاهين، إيمان فوزي سعيد. (إبريل2015). الخصائص السيكومترية لمقياس قلق المستقبل لدى الراشدات، *مجلة الإرشاد النفسي* (42)، 611-636.

الصائغ، عبد الإله. (1999). *الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب (الأدبية وتحليل النصوص)*. دار الفكر المعاصر، صنعاء.

صالح، قاسم حسين. (2018/6/10). النكتة وسيلة المكبوتين لقهر القهر! (1-3)، *جريدة مدى العراقية*: https://almadapaper.net/view.php?cat=211190

صليبيا، جميل. (1982). *المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية*. دار الكتاب اللبناني، بيروت.

طبيشات، محمد عايد. (2011). *السلوك السيكولوجي للإنسان*. المؤلف، عمان.

الطريفي، يوسف عطا. (2008). *إبراهيم طوقان حياته وشعره*. المكتبة الأهلية، عمان.

طوقان، إبراهيم. (2012). *الأعمال الشعرية الكاملة*. مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

طويطو، زهرة؛ ولحيلح، عيسى. (2023/1/30). عنترة بن شداد بين جدلية الانتماء والا انتماء: دراسة سوسيو نفسية، *مجلة المحترف لعوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية 10* (1)، 73-89 https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/380/10/1/214617

عاشور، ميلود مصطفى؛ والزوام، إبراهيم محمد. (سبتمبر 2019). أسلوب السخرية في الشعر السياسي الليبي، *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة المرقب الليبية*(19)، 531-621.

العامري، ساهرة عليوي. (2008). *المكان في شعر ابن زيدون*. [رسالة ماجستير، جامعة بابل]. المنظومة: http://thesis.mandumah.com/Record/224975

عباس، فيصل. (1996). *التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية المقارنة العيادية*. دار الفكر العربي، بيروت.

عبد الحميد، شاكر. (2003). *الفكاهة والضحك (رؤية جديدة)*. عالم المعرفة، الكويت.

عبد الخالق، هالة فوزي. (2014/7/31). توظيف صورة اليهودي في المسرح المصري: رؤية تحليلية لنماذج مسرحية مختارة، *مجلة بحوث في التربية النوعية*(24)، 350-393.

عبد الرحمن، محمد السيد. (1998). *نظريات الشخصية*. دار قباء، القاهرة.

عبد الغفار، عبد السلام. (1976). *مقدمة في الصحة النفسية*. دار النهضة العربية، القاهرة.

عبد القادر، طه فرج؛ وأبو النيل، محمود السيد؛ ومحمد، حسين عبد القادر؛ وقنديل، شاكر عطية؛ وعبد الفتاح، مصطفى كامل. (د.ت.). *معجم علم النفس والتحليل النفسي*. دار النهضة العربية، بيروت.

عبد المحسن، يسرى. (د.ت). *التوازن النفسي*. دار المعارف، القاهرة.

عبيد، ماجدة بهاء الدين. (2008). *الضغط النفسي ومشكلاته وأثره على الصحة النفسية*. دار صفاء، عمان.

عصفور، إبراهيم جابر. (2010). *المستويات الأسلوبية في شعر بلند الحيدري*. دار العلم والإيمان، القاهرة.

العنزي، مرزوق. (2020/7/15). التاريخ النفسي، *مجلة إيسايكو (جريدة الإرشاد النفسي الإلكترونية)*: https://epsycho.com.kw/2020/07/15/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A-psychohistory%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%B1-%D9%85%D8%B1%D8%B2%D9%88%D9%82/

العويدات، يعقوب (البدوي الملثم). (1964). *إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته*. المكتبة الأهلية، بيروت.

عويضة، كامل محمد. (1996). *علم نفس الشخصية*. دار الكتب العلمية، بيروت.

عيد، رجاء. (مارس1987). الأداء الفني والقصيدة الجديدة، *مجلة فصول7* (1-2)، 50-64.

العيسوي، عبد الرحمن. (2000). *علم النفس العام*، دار المعرفة الجامعية، البلد.

عيسى، محمد. (2003). القراءة النفسية للنص الأدبي العربي، *مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية19* (1-2)، 15-72.

غباري، ثائر أحمد؛ وأبو شعيرة، خالد محمد. (2009). *سيكولوجيا النمو الإنساني بين الطفولة والمراهقة*. مكتبة المجتمع العربي، عمان.

غباش، فرحات محمد موسى. (ديسمبر2018). علاقة الأنا بالآخر في شعر إبراهيم مسعود المسماري: ديوان أناشيد للعشق، *مجلة العلوم والدراسات الإنسانية في بنغازي* (59)، 1-14.

غطاس، فهيمة. (ديسمبر 2015). صورة الأنا والآخر في عامريات ابن دراج القسطلي، *مجلة الأثر*(2)، 260-253.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (د.ت). *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون. دار الكتب.

فخري، عمارة إخلاص. (1991). *الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية*. مكتبة الآداب، القاهرة.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (2003). *كتاب العين مرتبا على حروف المعجم*، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد الهنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت.

فرويد، سيغموند. (1972). *الأنا وميكانيزمات الدفاع*، ترجمة صلاح مخيمر وآخرون. مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

فرويد، سيغموند. (1982). *الأنا والهو*، ترجمة محمد عثماني نجاتي (ط.4). دار الشروق، بيروت.

فرويد، سيغموند. (2006). *علم نفس الجماهير وتحليل الأنا*، ترجمة جورج طرابيشي. دار الطليعة، بيروت.

فرويد، سيغموند. (2000). *الموجز في التحليل النفسي*، ترجمة: سامي محمود علي، وعبد السلام القفاش. مكتبة الأسرة، الكويت.

الفلاحي، أحمد علي. (2013). *الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)*. دار غيداء، الأردن.

قاسم، سيزا أحمد. (يناير1982). المفارقة في القص الغربي المعاصر، *مجلة فصول2* (2)، 143-151.

قاسم، قاسم عبده. (مارس1983). الشعر والتاريخ (قراءة في شعر حافظ وشوقي)، *مجلة فصول3*، (2)، 235-245.

قطوس، بسام موسى عبد الرحمن. (1996). الزمان والمكان في ديوان محمود درويش (أحد عشر كوكبا- دراسة نقدية)، *مجلة أبحاث اليرموك14* (1)، 47-84.

القوصي، عبد العزيز. (1952). *أسس الصحة النفسية* (ط.4). مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

كعواش، عزيز. (2010). علم اللغة النفسي بين الأدبيات اللسانية والدراسات النفسية، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية3* (7)،237-259.

كلون، ولسون. (2004). *اللا منتمي* (ط.5). ترجمة: علي مولا. دار الآداب، بيروت.

كوهين، جان. (1986). *بنية اللغة الشعرية*، ترجمة محمد الولي- محمد العمري. دار توبقال، الدار البيضاء.

اللودي، فيديريكو. (نوفمبر2017). التحليل النفسي للصهيونية في سياق التاريخ والظروف، ترجمة عادل يوسف وأحمد عكاشة. *المجلة العربية للطب النفسي28*(2)، 181-186.

الماضي، شكري عزيز. (1993). *في نظرية الأدب*. دار المنتخب العربي، بيروت.

محمد، رريب الله؛ وعلجية، يموتن. (2021/7/31). العلاقة بين علم التاريخ وعلم النفس والتأثير المتبادل بينهما، *مجلة أبعاد بجامعة وهران8* (1)، 109-121.

محمد، محمد الظريف. (ديسمبر 1989). *مقياس الاتجاه نحو الانتماء للجماعة*، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان- كلية الخدمة الاجتماعية.

محمد، محمد عبد الرؤف عبد ربه. (2018). آليات الدفاع النفسي لدى عينة من الطلبة الجامعيين ذوي المستويات المختلفة في التفكير الخرافي، *مجلة كلية التربية بالمنوفية 33* (1)، 119-177.

محمد، سعد سامي. (2012). *الأنا والآخر في المعلقات العشر*. [رسالة ماجستير، جامعة البصرة]. المنظومة: https://search.mandumah.com/Record/1022167

مديحة، بشير الشريف. (2020/3/15). انفتاح النص الشعري على التناص الديني (قراءة في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ)، *مجلة إشكالات في اللغة والأدب9* (1)، 520-539.

المخزومي، مهدي. (1986). *في النحو العربي (نقد وتوجيه)* (ط.2). دار الرائد العربي، بيروت.

المسيري، عبد الوهاب محمد. (1982). *الأيديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة*، عالم المعرفة، الكويت.

المغيض، تركي أحمد الرجا. (كانون الأول1989). جماليات المكان في شعر عرار، *مجلة مؤتة للبحوث والدراسات4*، (2)، 187-225.

موسى، رشاد علي؛ والعمروسي، نيللي حسين. (2011) *سيكولوجية الغضب*. دار الوفاء، الإسكندرية.

الناصري، سيد أحمد. (1993). المدخل إلى منهج التحليل النفسي للتاريخ، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية بالكويت12* (45)، 242-267.

نافع، عبد الفتاح صالح. (1983). *الصورة في شعر بشار بن برد*. دار الفكر للنشر، عمان.

النوايسة، فاطمة عبد الرحمن. (2013). *الضغوط والأزمات النفسية وأساليب المساندة*. دار المناهج، عمان.

نويل، جان بيلمان. (1997). *التحليل النفسي والأدب، ترجمة: حسن المودن*. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

هارون، محمد عبد السلام. (2005). *الأساليب الإنشائية في النحو العربي* (ط5). مكتبة الخانجي، القاهرة.

هداوي، سامي. (1982). *الحصاد المر – فلسطين بين عامي (1914-1979م)*، ترجمة فخري حسين يغمور. رابطة الجامعيين في محافظة الخليل، مطبعة التوفيق، عمان.

هو، عبد المجيد. (2004). *الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات*. دار الأوائل، دمشق.

هول، س. كالفن. (1968). *مبادئ علم النفس الفرويدي*، ترجمة: دحام الكيال. دار المتنبي، بغداد.

ياغي، هاشم. (1999). *صورة العدو في شعر محمود درويش*. [رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية]. المنظومة: http://thesis.mandumah.com/Record/188426

يعقوب، حسين مصطفى. (1995). *إبراهيم طوقان الشاعر والإنسان (دراسة نقدية في شعره وصوره الفنية)*. [رسالة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامي]. المنظومة.

وغليسي، يوسف. (2007). *مناهج النقد الأدبي*. مكتبة جسور، الجزائر.